مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية

دكتــور
حمدى أحمد حسانين
الأستاذ المساعد بكلية الآداب
جامعة الزقازيق

مكتبة رشيد للنشر والتوزيع . الزقازيق . مصر
الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)
رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٥٠٢١
الترقيم الدولى : 977-6001-43-2

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ . .رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) ﴾

صدق الله العظيم

سورة : الأعراف

الإهداء

أخى.. محمد

- فى هدوء وسكينة
  عشت بيننا... قانعاً متسامحاً

- وفى هدوء وسكينة فارقت دنيانا بنفس راضية مرضية

- ستبقى ذكراك حية فى نفوسنا ما بقينا
  يامن علمتنا الصبر والرضى والطموح والتحدى.

فإلى روحك الطاهرة فى جنة الخلد.

أهدى هذا الكتاب

أخوك حمدى

المقدمـة



المقدمة

يعد المنصور بن أبى عامر عبقرية فذة، وهو أحد أولئك الذين يمثلون ذروة النبوغ الشخصى، والطموح الفردى، فقد شق ذلك القائد – رغم نشأته المتواضعة – طريقه نحو الشهرة والمجد، وارتقى قمة السلطة فى الأندلس، متوسلاً بساعده، وهمته، معتمداً على ذكائه، وعبقريته، حتى شغل الناس فى زمانه وبعد زمانه.

وُلد محمد بن أبى عامر الملقب بالحاجب المنصور سنة ٣٢٨هـ ونشأ مغموراً فى مقاطعة "الجزيرة الخضراء" فى قرية "طُرش"(*) ثم ورد قرطبة شاباً يطلب العلم والأدب فى مسجدها الجامع الذى كان منارةً للثقافة، وجامعة لمختلف العلوم والمعارف والآداب، وقد أظهر تفوقاً ونبوغاً فى علوم اللغة والشريعة، والآداب، وكان من الممكن لهذا الفتى الموهوب أن يتبوأ مكانة عالية بين علماء عصره، لولا أن الأقدار دفعت به إلى معترك السياسة والسلطة، ورغم انشغاله بشؤون الحكم، ظل شغوفاً بالثقافة مهتماً بالأدب، تربطه صلات حميمة بالعلماء والأدباء، والشعراء فى عصره، وقد شهد بلاطه مجالس أدبية أسبوعية

(*) قرية تتبع مقاطعة الجزيرة الخضراء تقع على نهر يسمى وادى "آرُه" فى جنوب الأندلس، وقد دخلها طارق بن زياد فى أول فتحه الأندلس وانتصر على "تدمير" قائد القوط فى معركة تعرف بمعركة "الجزيرة الخضراء".

كانت تعقد فى قصره بمدينة "الزاهرة" التى بناها على مقربة من قرطبة، واتخذها عاصمة لدولته.

كانت هذه المجالس الأدبية ميداناً للمطارحات الشعرية، والمناقشات العلمية، والأدبية، والنقدية، يؤمّها الشعراء والكتاب طلباً للشهرة والمجد، أو سعياً للتكسب والنوال، فى عصر ازدهر فيه الأدب، فكان للشعر دولةٌ، وللشعراء ديوان.

وقد أعطى المنصور بن أبى عامر جلَّ اهتمامه للعلماء والأدباء والشعراء، فقربهم إليه، وأفاض عليهم من كرمه وآثرهم بحبه وعطفه، وأسند إليهم الوظائف الكبرى، والمناصب المهمة حتى إنه استوزر من بينهم عدداً كبيراً، وقد بلغ من عنايته بهم أن أنشأ لهم ضمن دواوين دولته ديواناً خاصاً يعرف بديوان "الندماء" مهمته ترتيب الشعراء فى طبقات، وبذل الأعطيات لهم على حسب أقدارهم فى الشعر، وهو يشبه صالوناً أدبياً فى زماننا، وكان على رأسه واحد من كبار النقاد فى الأندلس هو عبدالله بن مسلمة، يفاضل بين الشعراء، وينزلهم منازلهم بعد أن ينشدوه من أشعارهم.

وكان المنصور حريصاً على أن يصطحب معه فى غزواته عدداً كبيراً من الشعراء، ليصفوا شجاعته، ويشيدوا بانتصاراته، وقد تجمع فى بلاطه عدد من كبار الشعراء فى عصره، يأتى فى مقدمتهم صاعد البغدادى (ت ٤١٧هـ)، وابن

دراج القسطلى (ت ٤٢١هـ) وأبو مروان الجزيرى (ت ٣٩٤هـ)، ويوسف بن هارون الرمادى (ت ٤٠٣هـ) . فضلاً عن أن المنصور نفسه كان أديباً مثقفاً، وشاعراً، يقرض الشعر، ويطرب له، ويتذوقه، وقد صدرت عنه فى مجالسه الأدبية أراءً نقدية ثاقبة.

كانت حياة المنصور مليئة بالمهام الكبار، ومع ذلك كان حريصاً على الأخذ بمظاهر الحياة المترفة ومعطيات الحضارة الإنسانية، فتألقت الحضارة الأندلسية، وأينعت شجرتها فى عهده، فالإنشاءات كانت عظيمة، والقصور شاهقة، والحدائق غنَّاء، والرياض والبساتين يفوح شذاها فيعطر الأجواء، ومظاهر الجمال كثيرة ومتنوعة وباهرة تأخذ بالأبصار، وتستولى على الأفئدة، والنهضة الثقافية والعلمية والأدبية، بلغت الغاية نضجاً وازدهاراً، واكتمالاً، ووسط هذه الأجواء تعقد مجالس الأدب تعج بكبار الشعراء الذين راحوا يصفون مشاهداتهم، ويعبرون عن انطباعاتهم تجاه هذه المظاهر الحضارية الخلابة، وتلك الطبيعة الأندلسية الجميلة التى تعقد فى رحابها تلك المجالس، ولم يفت هؤلاء الشعراء أن يعبروا عن إعجابهم بشخصية المنصور الفذة التى شيدت هذا الصرح الحضارى الفريد، وفى ثنايا ذلك يتجهون نحو وصف المجلس وما يدور فيه، وتتوزع أشعارهم بين المدح والوصف، والفكاهة والتسلية والمرح، وتتوالى فى المجلس الأحكام النقدية للحكم على هذه الأشعار، والمفاضلة بينها.

وتجئ أهمية هذا الموضوع "مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية" من كونه يسعى نحو دراسة النتاج الشعرى والنقدى الذى صدر عن تلك المجالس، وتتأكد أهميته كذلك من كونه ينطلق من عدة ركائز مهمة :

أولها : أن مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية كانت من أهم وأبرز المجالس التى شهدتها البيئة الأندلسية، حيث غشيها وشارك فيها عدد من كبار الشعراء الأندلسيين، وأسهمت بدور بارز فى ازدهار الأدب الأندلسى وتشكيل المفهوم النقدى لدى الأندلسيين.

وثانيها: أنه يسعى لطرح وجهة نظر مغايرة لما استقر لدى أستاذنا الدكتور أحمد هيكل من أن عصر الحجابة هو عصر جمود الأدب وتخلفه بسبب الظروف السياسية الاستبدادية، والأحوال الاجتماعية المنحلة، والأوضاع الثقافية المقيدة(*).

وثالثها : أن هذا البحث يسد ثغرة فى المكتبة الاندلسية التى أحسب أنها أهملت عصر الحجابة باعتباره امتداداً لعصر الدولة الأموية فى الأندلس، وأنه لا يتسم بخصوصية فى مجال الأدب يستحق معها أن يُفرد بدرس مستقل.

(*) انظر : الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٢٧٣، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

ورابعها:أن هذا البحث سيميط اللثام عن جانب مهم ومهمل من جوانب النبوغ فى شخصية المنصور بن أبى عامر، هو صلته بالأدب.

وخامسها: أنه يتجه نحو دراسة ظاهرة كان لها أثرها البالغ فى ازدهار الأدب الأندلسى هى ظاهرة المجالس الأدبية.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن أسير فيه منهجياً على النحو التالى :

قسمته أربعة فصول مسبوقة بمقدمة وتمهيد، ومذيلة بخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

أما **التمهيد** فعنوانه "المجالس الأدبية، مفهومها، ونشأتها فى الأندلس"، تناولت فيه مفهوم المجالس الأدبية، لغة واصطلاحاً، وتحدثت عن نشأة المجالس الأدبية فى الأندلس، وبداياتها الأولى فى المشرق العربى.

والفصل الأول بعنوان : "المنصور بن أبى عامر وسيرته"، تحدثت فيه عن حياة المنصور، مولده، ونشأته، وحياته العلمية، وعلاقته بالملكة صبح – وقضائه على منافسيه، وانفراده بالحكم، وعنايته بالعمران، وسياسته الداخلية والخارجية، وغزواته، وصفاته ومآثره، ووفاته.

والفصل الثالث بعنوان : "الشعر فى مجالس المنصور بن

أبى عامر" تحدثت فيه عن أهم موضوعات الشعر فى مجالس المنصور وكانت كثيرة ومتنوعة ومن أبرزها : المدح، والوصف، والفكاهة والتسلية والمرح.

والفصل الرابع والأخير بعنوان : "النقد الأدبى فى مجالس المنصور بن أبى عامر" . بدأته بالحديث عن النقد فى المجالس الأدبية فى الأندلس بعامة، ثم تناولت قضايا النقد الأدبى فى مجالس المنصور، وكان من أهمها : قضية الشعر المنظوم والمحفوظ والصدق والكذب، والبديهة والارتجال، والسرقات الشعرية، والمعارضات، والألفاظ والمعانى.

وأخيراً كانت **الخاتمة** وفيها رصدت أهم النتائج التى توصلت إليها.

وبعد، فأرجو أن يكون هذا البحث إضافة فى مجال الأدب الأندلسى الذى ما يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات الجادة التى تتجه نحو دراسة الظواهر الأدبية ترصدها وتحللها فنياً فى ضوء المعطيات، والمناهج النقدية الحديثة .

والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

التمهيد
المجالس الأدبية
مفهوها، ونشأتها فى الأندلس

أولاً: مفهوم المجالس الأدبية لغة واصطلاحاً

ثانياً : نشأة المجالس الأدبية فى الأندلس

أولاً: مفهوم المجالس الأدبية، لغة واصطلاحاً

المجالس لغةً جمع مجْلِس بكسر اللام وهو موضع الجلوس، ورجل (جُلسة) بوزن هُمزةٍ أى كثيرُ (الجُلُوس) و (الجِلْسةُ) بالكسْر الحالة التى يكون عليها (الجالِسُ) و (جالسهُ) فهو (جلْسُهُ) و (جليسُهُ)، و(تجالسوا) فى المجالس، وجلس يجلس جلوساً، فهو جالس من قوم جلوسٍ وجلّاس، والمجلسُ: جماعة الجلُوس، وجلس الشئُ: أقام[1].

والمجلس: موضع الجلوس، والمجلس المكان الذى يجتمع فيه الناس، وجلس الإنسان جلوساً، ومجلساً: قعد، و(تجالسوا): جلس بعضهم من بعض، و(الجلسة): حصة من الوقت يجلس فيها جماعة مختصون للنظر فى شأن من الشؤون، وهى مغلقة إذا لم يشاهدها إلا أعضاؤها، ومفتوحة إذا شهدها معهم غيرهم، و(المجلسُ): مكان الجلوس، ومكان للطائفة من الناس تخصصُ للنظر فيما يناط بها من أعمال، ومنه مجلس الشعب ومجلس العموم، ومجلس الأعيان، والمجلس الحسبى[2].

والمجالس الأدبية اصطلاحاً، هى تلك المجالس التى كانت تعقد فى حضرة الخلفاء والأمراء والملوك الأندلسيين، خاصة الأدباء منهم، وكانت عاملاً مهماً فى تطوير العملية النقدية والأدبية، ليس فى الأندلس فقط، بل فى العصر الأموى فى المشرق، والعصور العباسية اللاحقة[3].

وكانت هذه المجالس من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية فى الأندلس، حيث أسهمت فى ازدهار الأدب بما شاع فيها من وسائل الفكاهة والترفيه، وكانت أيضاً مصدراً من مصادر الإلهام عند الشعراء تحملهم على الارتجال والابتكار، فضلاً عن دورها البالغ فى تشكيل المفهوم النقدى لدى الشعراء النقاد من خلال ما دار فيها من ممارسات نقدية تطبيقية، وكانت هذه المجالس أيضاً ميداناً للإبداع الشعرى، والمفاضلة بين الشعراء.

يقول أحمد ضيف : "وكانت مجالس الأدب فى الأندلس من أكبر مسارح الأفكار، وأفخم مظاهر الجمال، وأجمع أنواع الأدب واللهو والجد والهزل، ومظهر الحياة العقلية، والاجتماعية، والشعراء فرسان هذا الميدان، والكلام وحده آلة التعبير عن ذلك بأساليبه المختلفة البليغة وكان الشعر نشوة الشارب، وغناء الراقص، ومؤدب النفوس، وزاجرها، وسلوة الفقير والغنى، ومعزة الشريف والسوقى، وكانوا جميعاً علىٰ فهمه أقدر، وعلى الإقبال عليه أسبق، وكل أذن واعية عند سماعه خاشعة لروعة بلاغته، لأنه كل مظاهر الحسن والجمال فى مجالس الخلفاء والأمراء، كذلك كانت روعة تلك المجالس فى الشعر وبلاغة الكلام، وكان من أهل الأدب هناك الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون فى أمور الدولة، والخلفاء أنفسهم، وكثير

من أولادهم ونسائهم ومن يحضر مجالسهم، فبرع أهل الأندلس في فنون الأدب والشعر براعة شهد لهم بها جلة الناس، وكانت مجالسهم لذيذة ومحاضرهم فكهة، والشعراء كثيراً ما تحملهم هذه المجتمعات وما فيها على الارتجال والابتكار"(٤).

وكانت المجالس الأدبية أمسيات مفتوحة يغشاها كل محب للأدب ومبدع للشعر، أميراً كان أو وزيراً أو خليفة أو كاتباً أو شاعراً أو حتى رجلاً عادياً، وغدت نوعاً من النشاط الاجتماعي يرى فيها الحكام - خاصة الأدباء منهم - فرصاً للقاء مثمر مفيد في ميادين الثقافة والأدب، بل والسياسة أحياناً.

وكثيراً ما تصبح هذه المجالس ميداناً للمطارحات الأدبية، والنظرات النقدية، والمناظرات العلمية، وقد تعددت مناحي القول فيما يلقى فيها من أشعار، ولم يعد شعر المدح والوصف والخمر والفكاهة والتسلية والمرح تعبيراً عن حاجات خاصة، أو تصويراً لتجارب ذاتية أو وجدانية كما هو الحال عند الشعراء القدامى، وإنما أضحت تلك الأشعار مظهراً للترف الثقافي، والدعابات الأدبية، يتلهى بها الشعراء، ويتباهون بالإجادة فيها حتى لو لم تكن وراء ذلك دوافع نفسية أو غريزة ملحة، إن ما ينشد في هذه المجالس من أشعار كان - غالباً - لخدمة الغناء والترفيه عن العامة والخاصة، ولا غرابة في ذلك فيما يرى د. سعد إسماعيل

شلبى، فثمة عدد كبير من الشعراء الأندلسيين قد شغلوا أنفسهم بالترفية عن السادة والحكام[٥].

وتتعدد أهداف المجالس وغاياتها، فقد ينعقد المجلس فتغلب عليه السمة الأدبية، ويكون الشعر مقصوداً لذاته، معارضة ونقداً، وتباهياً، ونقضاً، وكثيراً ما كان الشعراء يبيتون وهم يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون الآداب والأخبار، أو يدعون إخوانهم إلى إحدى المنازه ثم يتدارسون الشعر ويذكرون لأحدهم معنى من المعانى، فيعارضونه أو يختصرونه "وكثيراً ما تقام مجالس الأنس لا يقصد بها غير تزجية أوقات الفراغ، والترويح عن النفس، ثم يأتى الشعر فيقوم بدور عظيم فى إمتاع النفس وإدخال السرور على المتسامرين، والشعراء عندئذ يستلهمون معانى الغزل وصفات الخمر والطبيعة، وقد تحتم عليهم المناسبات الطارئة المفاجئة إنشاد الشعر على البديهة، وارتجاله دون تروٍ كبير، وبمقدار سرعة استجابات الشاعر لتلك المواقف المباغتة، وبراعته فى التعبير عنها يكون الحكم له أو عليه، ويحل من نفوس الندامى المنازل التى تلائم نبوغه"[٦].

وقد تنشغل تلك المجالس أيضاً بكثير من قضايا النقد الأدبى خاصة ما يرتبط منها بالشعر مما أسهم فى صياغة الحس النقدى لدى الشعراء النقاد، ومن القضايا النقدية التى

نالت اهتماماً داخل تلك المجالس قضية اللفظ والمعنى، والصورة الشعرية، والطبع والصنعة والسرقة والانتحال والمعارضة، والصدق والكذب، والبديهة والارتجال، ولا تقف "أحكام المجلس الأدبى عند حدود الألفاظ وحسن تأليفها فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى ابتكار الشاعر فى المعانى وقدرته على نقلها من معنى إلى آخر"(٧).

هكذا لم تكن هذه المجالس ترفاً أو صخباً أو ترفيهاً أو إنفلاتاً خالصاً، بل اختلط فيها الجد بالهزل، والترف بالطرب والتسلية بالسمر والأنس بالشعر، وفيها قبل كل ذلك وبعده "الاحتفال المقصود بالأدب، والاهتمام الجاد بالشعر، بل كان بعض هذه المجالس تلخيصاً للحالة السياسية للدولة، وتشاوراً فى أهم ما يمر بها من الأحداث"(٨).

ثانياً : نشأة المجالس الأدبية فى الأندلس:

ظهرت المجالس الأدبية فى المشرق منذ قيام الدولة العباسية وقد شهدت مجالس هارون الرشيد والمأمون رواجاً شعرياً وجدلاً نقدياً أثرى الحياة الأدبية فى ذلك العصر، وتقليداً للمشارقة أراد الأندلسيون محاكاة ملوك المشرق ووزرائه فى عقد تلك المجالس، وقد تسابق ملوك الأندلس ووزراؤهم فى الدعوة إلى تلك المجالس "إذ لا يكاد يمر يوم دون أن يقام فيه مجلس،

أو تأتى ليلة، إلا ويكون الاستعداد قد تم لإحيائها، لأنها تؤنس القوم، فهناك يأنسون ويسمرون، ويشربون،ويطربون، ويرسلون شاعريتهم تتحدث عن تلك المجالس(٩). وقد وجد الشعر داخل هذه المجالس سوقاً رائجة، وإلهاماً قوياً، وراح الشعراء يتبارون فى وصف المجلس وما يدور فيه.

وقد ارتبطت المجالس الأدبية ببيئة الأندلس، وكانت مظهراً من مظاهر الحياة هناك، يقول د. سعد شلبى: "ويخيل إلىَّ أن شيوع مجالس الأدب والأنس والمجون، وتعدد مجالس الشراب واللهو ليس إلا نتيجة لشيوع القلق النفسى بين الناس، ذلك القلق الملازم دائماً للاضطرابات النفسية والسياسية، فليس للناس قرار، خاصة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسياً واجتماعياً فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشراب، يقيمونها، ويدعون الناس إليها"(١٠).

لقد وجدت تلك النفوس القلقة بغيتها فى تلك المجالس التى هيأتها تلك البيئة المضطربة المتناحرة، فارتكبت المنكرات، وغرق الناس فى الشهوات خشية أن يفجأهم الدهر بالمصائب، فكل واحد يريد اقتناص الفرصة ليعبَّ من الشهوات حتى الثمالة قبل أن تتخطفه يد الردى، فراجت الدعوات إلى المبادرة بشرب الخمر.

يروى أن ثلاثة من الأخـوة الوزراء الشـعـراء من "بنى القبطُرنة" اجتمعوا فى أحد المجالس، وقد استنفزهم الطرب، وأرادوا انتـهـاز فـرص الأُنس "فطاردوا اللذات حتى أنفـوها، ولبسـوا برود السرور وما نضوها، حتى صرعتـهم العقار، وطلحتهم تلك الأوقار، فلماهم داءُ الفجر أنْ يندا، وجبين الصبح أن يتبدا، قام الوزير أبو محمد فقال:

ياشقيقى وافى الصباحُ بوجهٍ ∴ ستر الليلَ نورُهُ وبهاؤهُ

فاصطبحْ واغتنمْ مسرَّةَ يومٍ ∴ لستَ تدرى بما يجئ مساؤهُ

ثم استيقظ أخوه أبوبكر فقال:

ياأخى قمْ تر النسيمَ عليلاً ∴ باكر الروضَ، والمدامَ شمولاً.

فى رياض تعانق النوْرُ فيه ∴ مثلما عانق الخليلُ خليلا

لاتنمْ واغتنمْ مسرَّةَ يومٍ ∴ إنَّ تحت التراب نوماً طويلاً.

ثم استيقظ أخوهما أبوالحسن، وقد هب من غفلة الوسن، فقال:

ياصاحبىّ ذرا لومى ومعتبتى ∴ قمْ نصطبحْ خمرةً من خير ماذخروا

وبادرا غفلة الأيام واغتنما ∴ "فاليوم خمر ويبدو فى غد خبر"[11]

هكذا كانت تلك المجالس ضرورة اجتماعية سعى إليها المجتمع بحثاً عن نوع من الاستقرار النفسى والتنفيس عما يعانيه الناس فى ظل حياة قلقة، واضطرابات سياسية عنيفة.

ولم تكن مجالس الأندلسيين فيما يرى أنخل جنثالث بالنثيا : "مجرد اجتماعات للشراب، وإنما اجتماعات أدبية شعرية كذلك، وكان المجلس ينقضى بين تقارض الشعر وارتجاله، يتخلل ذلك - بين الحين والحين - شدو جارية مغنية يصاحبها عزف العود والطنبور والقيثارة، وتتوزع أحاسيس السمار بين زهر الأحلام وشطحات السكر ومشاعر الهوى"[١٢].

وكان أمراء الأندلس وحكامها يرون فى تلك المجالس نوعاً من النشاط الاجتماعى والذهنى وهى عندهم فرصة تجمعهم بالعلماء والأدباء، وأصحاب الفكر.

وقد غشيت الخمر تلك المجالس "فكانت جزءاً من حياة المجتمع، وانتقلت من الحانات إلى المنازل والمنازه حيث يجتمع الإخوان، والسمار حولها مع رفع الكلفة، واطراح الوقار، وسجل الشعراء ذلك فى قصائد ومقطوعات عذبة"[١٣].

وقد انطلقت هذه المجالس بداية من المساجد، وكان عبدالرحمن الداخل (١٣٨ هـ - ١٧٢ هـ) وهو أحد الوافدين إلى الأندلس من المشرق أول من وضع النواة الحقيقية للمجالس الأدبية فى الأندلس، وكانت تلك البداية كغيرها من البدايات تقليدية محضة قلد الداخل فيها المشارقة، واقتصرت على الفقهاء[١٤].

وتعد مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية أبرز المجالس التى كان لها دور فاعل فى إثراء الحياة الأدبية وتشكيل المفهوم النقدى فى الأندلس، وسنتحدث تفصيلاً عن تلك المجالس فى الصفحات القادمة .

وفى عصر الطوائف ازدهرت مجالس الأدب وتطور دورها فى ربوع بنى عباد الزاهرة والعامرة بمجالس الأدباء والشعراء، وكان بنو عباد أنفسهم مولعين بالأدب، وتعد مجالس المعتمد بن عباد من أشهر مجالس الأدب فى عصر الطوائف، فقد عالجت تلك المجالس كثيراً من قضايا الشعر ونقده، وكشفت عن براعة المعتمد فى النقد وقدرته على التمييز بين الجيد والردئ مما يلقى بين يديه من أشعار.

لقد كانت مجالس المعتمد بن عباد ومجالس أبيه المعتضد من قبل بداية لحركة نقدية نشطة فى الأندلس من خلال ما دار فيها من ممارسات نقدية، وكانت فى الوقت نفسه ميداناً للإبداع الشعرى والمفاضلة بين الشعراء.

هوامش التمهيد

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلس)، دار المعارف، مصر، د.ت.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (جلس)، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

(٣) انظر: هدى شوكة بهنام، النقد الأدبى فى كتاب نفح الطيب للمقرى، ص١٧٧، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

(٤) بلاغة العرب فى الأندلس، ص٢٧، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة الثانية (١٣٥٦هـ-١٩٣٨م).

(٥) انظر: البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر، عصر ملوك الطوائف، ص٤٣٠، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت.

(٦) نفسه ، ص ٤٣٤.

(٧) هدى شوكة بهنام، النقد الأدبى فى كتاب نفح الطيب للمقرى، ص١٨٢.

(٨) د. سعد إسماعيل شلبى، البيئة الأندلسية، وأثرها فى الشعر، ص٤٣٢.

(٩) د. بدير متولى حميد، قضايا أندلسية، ص٩٢، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

(١٠) البيئة الأندلسية، وأثرها فى الشعر، ص ٤٢٩.

(١١) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٣٥، ٤٣٦، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

(١٢) تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة د. حسين مؤنس، ص ٤٤، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى (مايو ١٩٥٥م).

(١٣) د. سعد شلبى، البيئة الأندلسية، وأثرها فى الشعر، ص ٤٣٠.

(١٤) انظر: د. عبدالله بن على ثقفان، المجالس الأدبية فى الأندلس، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، نادى أبها الأدبى، المملكة العربية السعودية.

الفصل الأول
المنصور بن أبى عامر وسيرته

أولاً : مولده ونشأته.

ثانياً : علاقته بالملكة صبح.

ثالثاً : حياته العملية وتقلبه فى المناصب.

رابعاً : قضاؤه على منافسيه، وانفراده بالحكم.

خامساً : حالة الأندلس فى عصره.

سادساً : صفاته ومآثره.

سابعاً : وفاته.

الفصل الأول
المنصور بن أبى عامر وسيرته

أولاً: مولده ونشأته:

هو محمدبن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك المعافرى، ينتمى إلى قبيلة معافر اليمنية العربية التى هى فرع من حمير، وعبدالملك جده هو الداخل للأندلس مع طارق فى أول الداخلين من العرب، وكانت أمه من بنى تميم وهى "بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمى" المعروف بابن برطال، ولم تنجب "بديهة" سوى ولدين أحدهما محمد والآخر يحيى.

ولد محمد بن أبى عامر سنة ٣٢٨هـ ونشأ فى مقاطعة الجزيرة الخضراء فى قرية تسمى "طرش" موطن عشيرته ومسكن أجداده، وهى من أطيب بلاد الأندلس أرضاً، وأصحها هواء، يقول عبدالواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ) : "وكان أصل ابن أبى عامر هذا من المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء من قرية من أعمالها تسمى طرش، على نهر يسمى وادى آره، إلا أنه كان شريف البيت قديم التعيُّن، ورد شاباً إلى قرطبة، فطلب العلم والأدب وسمع الحديث، وتميز فى ذلك، وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالى الأمور، وتزيد فى ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك، وله فى ذلك أخبار عجيبة"[1].

من تلك الأخبار ما ورد فى كتاب "المعجب" من رواية الفقيه أبى محمد على بن أحمد قال : "كان ابن أبى عامر يوماً جالساً مع ثلاثة من أصحابه من طلبة العلم، فقال لهم : ليختر كل واحد منكم خطة أوليه إياها إذا أفضى إليَّ الأمر ! فقال أحدهم : تولينى قضاء . كورة رية، وهى مالقة وأعمالها، فإنه يعجبنى هذا التين الذى يجئ منها !

وقال الآخر : تولينى حسبة السوق، فإنى أحب هذا الإسفنج ! وقال الثالث: إذا أفضى إليك الأمر فأمر أن يطاف بى قرطبة كلها على حمار ووجهى إلى الذنب وأنا مطلى بالعسل ليجتمع عليَّ الذباب والنحل[٢]

وافترقوا على هذا، فلما أفضى الأمر إليه كما تمنى بلغ كلٌّ واحد منهم أمنيته على نحو ما طلب"[٣]

كان محمد بن أبى عامر متميزاً منذ صغره تفتقت عنده علامات النجابة والنباهة والرياسة، كانت تساوره منذ حداثته آمال كبار وتحدوه رغبة جامحة فى أن يصبح يوماً صاحب المكانة الرفيعة والكلمة المسموعة، ورد ابن أبى عامر قرطبة شاباً يطلب العلم والأدب والحديث فى جامعاتها، وقد قرأ الأدب وتعمق فى أصول اللغة على أبى على البغدادى، وعلى أبى بكر ابن

القوطية، وقرأ الحديث على أبى بكر ابن معاوية القرشى راوية النسائى، وكان شغوفاً بقراءة التاريخ والاطلاع على سير العظماء والنابهين ممن خرجوا من قاع المجتمع وسلكوا طريقهم نحو الشهرة والمجد، وقد ألم بأخبار المغازى والفتوحات الإسلامية، ولم يقنع فى بادئ أمره بمنصب القضاء، فسرعان ما أحس بأنه خلق لأكثر من ذلك وأن القدر يدخر له دوراً قيادياً مؤثراً فى الأندلس.

ثانياً: علاقته بالملكة صبح:

بدأت علاقة ابن أبى عامر بقصر الخلافة وبالتالى بالملكة صبح عندما الجأته ظروفه الخاصة أن يفتتح لنفسه دكاناً صغيراً عند باب القصر يكتب فيه الرقاع لأولئك الذين يرغبون فى تقديم الشكاوى للخليفة للمطالبة بحقوقهم، ورفع الحيف الواقع عليهم، ولم يكن ابن أبى عامر قانعاً بهذه البداية المتواضعة، فحاول أن يصل نفسه بقصر الخلافة عن طريق الحاجب المصحفى صاحب الكلمة المسموعة والجاه العظيم فى دولة الحكم، لكن المصحفى أهمل شأنه، ولم يبلغه أمنيته.

واستمر به الحال على ذلك إلى أن حملت الجارية صبح البشكنسية الأصل من الخليفة الذى لم يرزق بالأولاد قبل تقلده الخلافة وكان قد يئس من ذلك وفى سنة ٣٥٤ هـ ولدت صبح

للخليفة ابنه هشام بن الحكم، وقد بشر الخليفة بقدومه بعد أن تقدمت به السن، وانبرى الشعراء فى التهنئة بقدومه والتعبير عن سرورهم بذلك ومنهم جعفر المصحفى الحاجب الذى قال بين يدى الخليفة[٤]:-

هنيئاً للأنام وللإمام .:. كريمٌ يستفيد على كرام
مرجّى للخلافة وهو ماءٌ .:. ومأمولٌ لآمالٍ عظام
أضاء على كريمته ضياهُ .:. فلمْ تعلمْ بغاشية الظلام

وقد سمت مكانة الزوجة "صبح" فى نفس الخليفة وعظمت سيطرتها عليه وازداد دلها ودلالها، وقوى امتلاكها قلبه، فما إن أبدت رغبتها للخليفة الحكم فى أن يعين لها رجلاً يساعدها فى إدارة شؤونها ورعاية ابنها حتى أسرع الحكم فى تلبية رغبتها، ورشح لها عدداً من الرجال اختارت من بينهم ابن أبى عامر، يقول د. خالد الصوفى : "وكان لدى ابن أبى عامر كل المؤهلات التى تجعله يحظى لدى السيدة صبح وينال إعجابها، لم يكن بطبيعته يكرس كل اهتمامه ووقته للنساء، ولكنه كان حرياً بأن يحوز على رضاها لطلاقة لسانه ووسامة طلعته، وإرهاف حسه واتقاد ذكائه، فلم يأل جهداً فى إسعادها وإدخال السرور إلى حياتها بمختلف الوسائل التى كان يخترعها فى سبيل هذه الغاية"[٥].

من هنا بدأ محمد بن أبى عامر يشق طريقه بقوة نحو الشهرة والمجد وأخذ يتقلب فى المناصب العليا للدولة الأموية بداية بإدارة "السكة" أى التحكم فى خزانة الدولة وإنتهاءاً بوكالة أملاك ولى العهد هشام ورئاسة الشرطة الوسطى، وقد مكنته الأموال الطائلة التى فى عهدته من توثيق علاقاته بالكثيرين من الرجال البارزين فى الحياة العامة، عن طريق الهدايا والهبات فازداد عدد أنصاره وأصدقائه وأتباعه "وهكذا لم يبلغ ابن أبى عامر سن الثلاثين عاماً حتى كان قد تقلب فى عدة وظائف عالية وأصبح رئيساً للشرطة الوسطى، ذلك المنصب الخطير الذى يمكنه من السيطرة على الناس ودفعهم إلى إطاعة أوامره وتعليماته"[٦] .

وكان ابن أبى عامر شديد الاهتمام بأمر السيدة صبح زوجة الحكم الثانى وكذلك كل نساء القصر، جاء فى "الذخيرة" : "وتقوّى على أمره بنظره فى الوكالة وخدمته للسيدة صبح أم هشام، وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال، بتقديم الاتصال، وحسن الخدمة، والتصدى لمواقع الإرادة، وطلاقة اليد فى باب الألطاف والهدية"[٧] .

وقد استغل ابن أبى عامر مكانة صبح لدى الحكم فاستطاع أن يستهويها بحسن خدمته وجمال طلعته وتنوع

مواهبه، يقول ابن هشام : "وكان أول اتصال ابن أبى عامر بالحكم أنه وصف له فاستخلف على قضاء كورة ريه، ثم تصرف فى وكالة صبح أم هشام، فاضطلع بكل ما قلد، استهوى هذه المرأة بحسن الخدمة - وهى الغالبة على الحكم - فأزلفته"[٨].

وقد لاحظ الخليفة باستغراب شديد إعجاب السيدة صبح وجميع نساء القصر بمحمد بن أبى عامر الذى استطاع أن يملك عقولهن وينفذ إلى قلوبهن حيث كثرت أحاديثهن عن قصصه وهداياه، وقد تأكدت علاقة صبح بابن أبى عامر وأضحت تلذ بسماع أخباره وأحاديثه، وتشعر بالفراغ فى غيابه مما فتح الباب لأقاويل الناس فيهما، وقد أخذت الظنون منهما كل مأخذ .

ثالثاً: حياته العملية، وتقلبه فى المناصب:

كان الخليفة الحكم يرى فى هذا الشاب همة وفطنة ويعتقد أن له مستقبلاً حافلاً، لذلك طفق يكلفه بالمهام العظام ليختبر قدراته، ويضعها موضع التجربة فما إن توجهت الجيوش الأموية إلى المغرب الأقصى فى شمال أفريقيا للقضاء على نفوذ الأمير الحسن ابن كنون وأتباعه وإخضاع تلك البلاد لسلطة الأمويين فى الأندلس وقطع دعوة الفاطمين فيها حتى عهد الحكم إلى ابن أبى عامر بمصاحبة تلك الجيوش فى مهمة خطيرة من شأنها أن تعلى شأنه فى نظر المسؤولين، وتعطيه الفرصة للاحتكاك بكبار

رجال الدولة، وقواد الجيوش وزعماء البربر الموجودين فى المغرب الأقصى أما المهمة التى أوكلت إلى ابن أبى عامر هناك فقد كانت ظاهرياً ورسمياً "قاضى قضاة المغرب" ولكنه كُلف بمراقبة أعمال القائد العام للجيوش الأموية خاصة من الناحية المالية "فإذا عرفنا أن قائد الجيوش الأموية لم يكن سوى القائد الكبير المولى غالب حاكم الثغر الأوسط، أدركنا أية سلطة أعطيت لابن أبى عامر آنذاك"(٩).

وقد نجح القائد غالب فى مهمته العسكرية كما نجح محمد بن أبى عامر فى مهمته، وعاد الأثنان إلى قرطبة سنة ٣٦٤هـ ومعهما الثائر البربرى "الحسن ابن كنون"، وقد استقبلوا أحسن استقبال، وقد ازداد إعجاب الخليفة بابن أبى عامر بعد عودته من المغرب، وأخذ يؤثره ويقدمه، وأضاف إليه النظر فى الحشم، وهم الجند الذين كانوا يعسكرون فى المدنية، فانفتح الطريق واسعاً أمام ابن أبى عامر لتحقيق كل آماله وطموحاته، وما كان يحلم به فى صباه(١٠).

ومع تقدم الزمن ساءت صحة الحكم وقد أحس بدنو أجله وهو لا يريد أن يفارق الدنيا دون أن يوصى بالخلافة لشخص يقود الأندلس من بعده، ولم يكن أمامه إلا ابنه هشام الذى لم يناهز العشر سنين، وهو لا يزال غلاماً يافعاً لم يبلغ الحلم، لكن

عاطفة الأبوة والحب الشديد للابن الوحيد، جعلاه يتخطى الجميع ليقدم ابنه على من سواه.

ولاشك أن الحكم قد أخطأ بتقديم ابنه على إخوته المؤهلين للخلافة والسلطان، وكان له ثلاثة أخوة هم : عبدالعزيز والأصبغ والمغيرة، مع جماعة من أولاد الخلفاء كهولاً وشباباً يستطيعون تحمل العبء والنهوض به، وقد أشار ابن بسام إلى ذلك فى قوله : "فتخطى جماعتهم إلى ابنه هشام وهو فى الوقت طفل، ما بلغ الحلم"(١١).

وما إن توفى الحكم الثانى سنة ٣٦٦هـ حتى عظمت مكانة ابن أبى عامر لصلته الوثيقة بولى العهد، ولكونه مديراً لأملاكه والمسؤول عن رعايته منذ طفولته فى عهد أبيه الحكم، وقد رأت السيدة صبح أن ابنها الصغير لم يزل بحاجة إلى من يرعاه ويحمل عنه تبعات الخلافة، ولم يكن أمامها جديراً بهذه المسؤولية غير ابن أبى عامر الذى علا نجمه وسطع فى دار الخلافة وغدا واحداً من كبار رجال الدولة وثمة من يقول : "وليس من المستبعد أن السيدة صبح كانت عاشقة مفتونة قبل أن تكون أماً مخلصة، وربما كانت عنايتها بمستقبل صديقها ابن أبى عامر وتمهيد السبيل لبناء مجده ورفع منزلته أكثر من عنايتها بشؤون ولدها الناشئ الذى كان فى حاجة ماسة إلى التعهد الصالح والتضحية

المخلصة، والتوجيه الرشيد وتجنيبه مزالق السلطة، وحمايته من كيد الكائدين وطمع الطامعين"[١٢].

رابعاً: قضاؤه على منافسية وانفراده بالحكم:

كل الظروف كانت مواتية لمحمد بن أبى عامر ليتسلم زمام الأمور وينفرد بها دون غيره، فالملكة صبح تميل إليه والخليفة الصغير منغمس فى اللهو واللعب وسماع الغناء، وقد أظهر ابن أبى عامر شجاعة منقطعة النظير بغزوه الممالك الإسبانية ورجوعه منتصراً ومحملاً بالغنائم، واستطاع بمصاهرته القائد غالب بن عبدالرحمن صاحب مدينة سالم وأشهر فرسان الأندلس أن يأمن جانبه ويرجح من كفته السياسية، وقد سعى فى عزل الحاجب المصحفى وأصدر حكماً بالقبض عليه وأودعه السجن وأخذ فى السيطرة على مقاليد الحكم، وقد تفرغ للقضاء على معارضيه ومنافسيه حتى أفناهم جميعاً يقول محمد عبدالله عنان : "وما كاد يختفى الحكم المستنصر من الميدان، ويقوم ولده الطفل هشام فى الخلافة، حتى تبلورت مطامع المنصور، واتجهت تواً إلى غايتها البعيدة، فكان الصراع مع الفتيان الصقالبة، ثم مع الحاجب جعفر، ولم يتح بعد ذلك لأية قوة معارضة أن تقف فى سبيله، ولما اجتمعت سائر السلطات فى يده، اتشح بثوب الحاكم المطلق، الذى لا يطيق أية مشاركة فى سلطانه أو أى

اعتراض لرأيه، ولم يدخر وسعاً فى أن يخمد أية نزعة للخروج أو الثورة على حكمه، وهنا تبرز النواحى القائمة فى عبقرية المنصور، فنراه يلجأ فى تدعيم سلطانه وحمايته إلى نفس الوسائل "المكيافيللية" التى يلجأ إليها الطغاة دائماً فى كل قطر، وفى كل عصر : إلى القتل، والغيلة، والخديعة، وكل ضروب العنف المثير، ونراه يسير إلى تحقيق الغاية بأى الوسائل ولا يعف فى ذلك السبيل عن ظلم يقع، أو دم يسفك، حتى ولو كان دم ولده بالذات"[١٣].

هكذا استطاع محمد بن أبى عامر أن يتخلص من منافسيه واحداً تلو الآخر حتى تنكر فى النهاية لصبح نفسها وتسلم زمام الأمور، بيده واستبد بالملك وحده، وأصبح ملكاً على الأندلس وخلع على نفسه لقب الحاجب المنصور ودعى لنفسه على المنابر.

وأتفق مع ما ذهب إليه د. أحمد هيكل من أن حكم المنصور كان دموياً واستبدادياً تنكر فيه لكل قيمة أو مبدأ يقول: "وقد كان الطابع السياسى لتلك الفترة، هو الطابع الاستبدادى، ففيه القوة التى تحمل الضعف، والانتصار الذى ينطوى على الهزيمة، والصعود الذى ينذر بالهبوط، ذلك لأن القوة كانت قوة الحاكم لا قوة الشعب، والانتصار كان انتصار الطمع لا انتصار المبدأ،

كما كان الصعود صعوداً انتهازياً، لا تسنده دعائم من القيم تضمن له البقاء، فالمنصور قد سلك للوصول إلى تحقيق مآربه طريقاً غير نبيل، حيث قضى على الكفاءات التى رأى فيها حداً من سلطانه، واستعان بالمرتزقة من الجنود المسيحيين، والصقالبة والبربر .. وقد يكون كل هذا قد حقق له قوة، وقد تكون تلك القوة قد انعكست حيناً على الدولة، ولكنها فى الواقع كانت قوة شكلية، قوة مؤقتة تنتهى بانتهاء صاحبها، فبعد موت المنصور، سارت الدولة فترة وجيزة بقوة الدفع، ثم ما لبثت أن اشتعلت فيها ثورة كانت مبدأ فتنة طاحنة، لم تود بالدولة العامرية وحدها، بل بالدولة الأموية، ووحدة الأندلس جميعاً"(١٤).

خامساً: حالة الأندلس فى عصره:

ورغم اعتراضنا على بعض ما كان عليه المنصور فى سياسته لكن حسبه أنه كان يضطرم شغفاً بالجهاد فى سبيل الله، فقد تجاوزت غزواته الخمسين، تولى القيادة بنفسه فى معظمها وحقق انتصارات عديدة على النصارى الإسبان، وقد تفتق طوال حياته عن ذكاء حاد وحصافة بل كفاية إدارية مدهشة، وظهر فى سائر المناصب التى أسندت إليه ببراعته وحصافته وحسن تصريفه، ويكفى أن الأندلس لم تر من قبل استقراراً كالذى رأته فى عهده، ولم تتمتع قط بمثل ما تمتعت

به فى عـهـده من الأمن والطمـأنينة والدعـة، فـأيام المنصـور بالأندلس كانت كلها أيام عز وفخار وظفر ورخاء ورغد، لم تعان الأندلس من غـزوات العـدو، ولم تصب بأية هزيمة ولم تضطرم فيها أية ثورة أو فتنة، وقد ازدهرت الزراعة والتجارة والصناعة، وزهت العلوم والآداب، وعم الخـصب والرخـاء، وفـاضت خـزائن قرطبة بالأموال، ولم يحل إنشغال المنصور طوال عهده بالغزو المستمر، عن القيام بالإنشاءات العظيمة، فقد أنشأ مدينة الزاهرة وقصورها المنيفة وحدائقها الغناء، واتخذها مركزاً للإدارة والحكم، ثم ابتنى إلى جانبها منية جميلة ذات قصر وحدائق رائعة يرتادها للاستجمام والتنزه، سماها "العامرية"، وإلى جانب ذلك أنشأ المساجد واهتم بها، وجدد قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادى الكبير وابتنى قنطرة "استجة" على نهر "شنيل"، فرع الوادى الكبير.

وإلى جانب الاهتمام بالشؤون الداخلية والخارجية، وجهاد الأعداء وتحقيق الانتصارات، فقد نالت الثقافة رعاية كاملة فى عهد المنصور بن أبى عامر الذى كان محباً للمعرفة راعياً للأدب، وكان أيضاً مغرماً بالفلسفة، لكنه عدل عنها، وأمر بإحراق كتبها عندما وجد الفقهاء يثيرون مشاعر الناس ضده.

سادساً : صفاته ومآثره

أما عن صفاة المنصور ومآثره فقد كان متواضعاً يفاخر بنشأته المتواضعة ويقلل من شأن نفسه، كان شجاعاً هماماً طموحاً واثقاً، يعرف غايته ويحرص على القيام بواجبه على أكمل وجه، كان كريماً، عادلاً وفياً، حازماً، مهيباً، وقوراً ذكياً، كثير الدهاء، عظيم المكر، بارعاً فى السياسة، قوى الأعصاب، شديد الصلابة، ثابت الموقف حسن المجلس، معتزاً بنفسه فى غير غرور أو خيلاء، لا يسمح بالانتقاص من هيبته ووقاره، حريصاً على شؤون رعيته، ومصلحة دولته، يقول ابن الآبار متحدثاً عن أخلاقه : "وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة، فقد كان له حلم واحتمال"[١٥].

ويقول صاحب "النفح" عن أخلاق المنصور وصفاته : "وكان متسماً بصحة باطنه، واعترافه بذنبه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده، وإذا ذكر بالله ذكر، وإذا خوف من عقابه ازدجر، ولم يزل متنزهاً عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر، لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين، وكان عدله فى الخاصة والعامة وبسط الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته أمراً مضروباً به المثل[١٦].

وقدتوقف المستشرقون طويلاً عند شخصية المنصور

واعترفوا بعظمته، وأعجبوا بشخصيته، وقد نقل محمد عبدالله عنان بعض أقوالهم، فى كتابه "الدولة العامرية" ومن هذه الأقوال: قول المستشرق الإسبانى "اليسوعى ماسديه" مشيراً إلى المنصور : "وكان سياسياً كبيراً، وقائداً عظيماً" .

وقول المستشرق الإسبانى "مندريث بيدال" معلقاً على عصر المنصور : "عاش الإسلام فى إسبانيا أروع أيامه وأسطعها" ويقول المستشرق "دوزى" : "وعلى الجملة فإذا وجب أن نستنكر الوسائل التى لجأ إليها المنصور فى اغتصاب السلطة، فمن الواجب أيضاً أن نعترف بأنه استخدمها بطريقة شريفة، وما كنا لنسرف فى لومه لو أن القدر خلقه على أريكة العرش، ولعله كان يعتبر عندئذ من أعظم الملوك الذين عرفهم التاريخ، ولكنه خلق فى القرية، واضطر لتحقيق أطماعه، أن يشق لنفسه طريقاً تكتنفه آلاف الصعاب، ومن الأسف أنه من أجل تذليلها، قلما راعى شرعية الواسطة، لقد كان المنصور رجلاً عظيما من وجوه كثيرة، ولكن يستحيل علينا، متى رجعنا إلى مبادئ الأخلاق الخالدة أن نحبه ومن الصعب أن نعجب به"(١٧).

وأقول رداً على كلام "دوزى" رغم كل ما فعل المنصور بن أبى عامر وما اتخذ من وسائل لتحقيق طموحاته فإننا لا نملك إلا الإعجاب به، فقد حقق غايته متوسلاً بهمته وعقله وشجاعته.

سابعاً: وفاته:

عندما قربت نهاية المنصور وكان قد خرج لغزو قشتالة وقد انتصر على أهلها اشتد عليه المرض فى طريق عودته، وما إن وصل إلى مدينة سالم، وأيقن بالموت، قال: إن زمانى يشتمل على عشرين ألف مرتزق، ما أصبح منهم أسوأ حالاً منى فأمر ابنه عبدالملك بالنفوذ إلى قرطبة بعد ما أكثر وصيته، وأمر أن يستخلف أخاه عبدالرحمن على العسكر وذكر ابن حيان "أن أباه خلف بن حسين دخل على المنصور حينئذ وهو كالخيال، وأكثر كلامه بالإشارة، ومات ليلة الإثنين، لثلاث بقين من رمضان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وأوصى أن يدفن حيث يقبض، فدفن فى قصره بمدينة سالم"[18].

وكتب على قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه ∴ حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله ∴ أبداً ولا يحمى الثغور سواه[19]

هكذا تحققت أعز أمانى المنصور أن تدركه منيته خلال الغزو، مجاهداً فى سبيل الله، وكان دائماً يحلم بذلك ويحمل معه أكفانه حيثما سار إلى الغزو، وهى أكفان صنعت من غزل بناته، واشتريت من خالص ماله،وقد استجاب الله دعاءه، فقبض غازياً ومجاهداً، بعد سبعة وعشرين عام قضاها فى حكم الأندلس وعمره آنذاك أربعة وستون عاماً، ولبث قبر المنصور بمدينة سالم عصوراً، مزاراً معروفاً، وذلك بالرغم من استيلاء النصارى على المدينة، منذ أواخر القرن الحادى عشر[20].

هوامش الفصل الأول

(١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، ص٧٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٨٣ هـ -١٩٦٣).
انظر ترجمة المنصور بن أبى عامر فى : الحلة السيراء لابن الأبار، تحقيق د. حسين مؤنس، الجزء الأول، ص ٢٦٨ ومابعدها، والمغرب فى حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسى، تحقيق د. شوقى ضيف، جـ ٩٣/١ ومابعدها، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقرى التلمسانى، تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الأول، ص ٣٨٢ ومابعدها، دار صادر، بيروت لبنان، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق د. إحسان إلياس، القسم الرابع، المجلد الأول، ص١٤ وما بعدها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ومطمع الأنفس، ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس الفتح بن خاقان، تحقيق محمد على شوابكة، ص ٣٨٨ ومابعدها. دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، والدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية لمحمد عبدالله عنان، ص ٧٨ ومابعدها، مطبعة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٧٨هـ-١٩٥٨م)، وتراجم إسلامية، شرقية وأندلسية، محمد عبدالله عنان، ص ١٩٩

ومـابعـدهـا، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، الطبـعـة الثـانيـة، د.ت، وعـصـر المنصـور الأندلسي د. خـالد الصـوفي، دار الكاتب العربي، دمشق، وتاريخ العرب في الأندلس، لحسن مراد مراد، ص ٩٢ ومـابعـدهـا، دار الفـرجـاني، القـاهرة، طرابلس، لندن، ١٩٨٤م . والشـعـر العـربي في الأندلس تأليف المسـتـشـرق الروسي كراتشكوفسكي، ترجمة د. محمد منير مرسي تقديم د. أحمد هيكل، ص ٣٨ ومابعدها، عالم الكتب، القاهرة.

(٢) واضح أن صاحبه هذا كان يسخر من أمنتيه تلك، فلم يخطر في وهمه أن يتحقق شئ من ذلك، ولكن كل ذلك قد كان، لتبلغ السخرية تمامها!.

(٣) عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،ص ٧٤.

(٤) الحـاجب المصـحـفي حـيـاته وآثاره الأدبيـة، د. حسين يوسف خريوش، ص ٦٠ حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التـاسـعـة عشـرة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، وانظر ترجمة الحاجب المصحفي وشعره في : الحلة السراء لابن الآبار، تحقيق د. حسين مؤنس، الجزء الأول، ص ٢٥٧ ومـابعـدهـا، طبـعـة دار المعـارف، بمصر، د. ت.

(٥) عصر المنصور الأندلسي، ص ١٨، دار الكاتب العربي، دمشق .

(٦) نفسه، ص ٢١.

(٧) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٩.

(٨) نفسه، ص ٦٠.

(٩) د. خالد الصوفي، عصر المنصور الأندلسي، ص ٢٢.
(١٠) نفسه، ص ٢٣ ومابعدها.
(١١) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٧.
(١٢) د. خالد الصوفي، عصر المنصور الأندلسي، ص ٢٦.
(١٣) الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية وهو الجزء الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ص ٧٩، مطبعة مصر، الطبعة الأولى، (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).
(١٤) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٢٦٧.
(١٥) الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، الجزء الأول، ص٢٧٣، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
(١٦) المقرى التلمساني، نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الأول، ص ٤٠٩، دار صادر، بيروت، لبنان (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)
(١٧) انظر : الدولة العامرية، ص ٩٥، ٩٦.
(١٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ٢٠٢/١.
(١٩) نفسه ٢٠٣/١.
(٢٠) انظر: محمد عبدالله عنان، الدولة العامرية، ص ٧٦.

الفصل الثانى
صلة المنصور بن أبى عامر بالأدب

أولاً : اهتمام المنصور بالثقافة والأدب.

ثانياً : إنشاء ديوان الندماء.

ثالثاً : مواهب المنصور الأدبية.



الفصل الثانى
صلة المنصور بن أبى عامر بالأدب

تحدثت فى الفصل السابق عن حياة المنصور وسيرته وصفاته ولم أشر إلى جانب مهم فى حياته هو صلته بالأدب. إذ آثرت أن أفرد لهذا الجانب، فصلاً خاصاً، لسببين : الأول أهميته فى حياة المنصور وبروزه فى شخصيته، والثانى: إهمال الدارسين له وانشغالهم بالجانب السياسى، اللهم إلا إشارات عابرة ترددت فى بعض المصادر القديمة، وتناقلتها المراجع الحديثة .

أولاً: اهتمام المنصور بالثقافة والأدب:

أشرت فيما سبق إلى أنه كان من الممكن للمنصور بن أبى عامر أن يتبوأ مكانة مرموقة بين أدباء عصره وعلمائه، وأن الأقدار وحدها أبت إلا أن تدفع به فى معترك السياسة والسطان.

ورغم انشغال هذا القائد - الذى تعددت مواهبه - بشؤون السياسة ظل محتفظاً طوال حياته بحبه الشديد للعلم والأدب، يحرص دائماً على توثيق صلاته بالعلماء، والأدباء، والشعراء، يؤثرهم بحبه وعطفه، ويغدق عليهم من كرمه، وهو بين الفينة والفينة يختلس من وقته سويعات يجمعهم حوله، يأنس بهم،

ويساجلهم القول، ويطارحهم الشعر، ورغم انشغاله كذلك بغزواته المتصلة، لم تتوقف مجالسه الأدبية التى كانت تعقد كل أسبوع، فى قصره بمدينة "الزاهرة" وكان يحرص على أن يصطحب معه فى غزواته عدداً كبيراً من الشعراء والعلماء يسجلون انتصاراته ويصفون شجاعته، وليس هذا بمستغرب من رجل استطاع أن يستثمر وقته فيوزعه بين القراءة والتحصيل، والسياسة والتدبير، وهكذا تعانق الأدب والسياسة فى بلاط ابن أبى عامر.

أورد صاحب "المعجب" عن المنصور قوله : "وكان محباً للعلوم مؤثراً للأدب مفرطاً فى إكرام من ينسب إلى شئ من ذلك، ويفد عليه متوسلاً به، بحسب حظه منه وطلبه له، ومشاركته فيه"[1].

ويقول ابن الآبار : "وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة، فقد كان له حلم واحتمال، مع محبة للعلم، وإيثار للأدب، وإكرام لمن ينتسب إليهما"[2].

وقد بلغ من عناية المنصور بالأدباء أن أسند إليهم الوظائف الكبرى والمناصب المهمة، حتى إنه استوزر من بينهم عدداً كبيراً، وفى ذلك يقول عبدالواحد المراكشى : "واستوزر جماعة منهم الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان الملقب بالمصحفى، ومنهم الوزير الكاتب أبومروان عبدالملك بن إدريس الجزيرى، ومنهم

الوزير أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى... واستوزر أبا العلاء صاعد بن الحسن الربعى اللغوى البغدادى، وله معه أخبار مستطرفة[٣].

ويعد أبو العلاء صاعد البغدادى من أخلص جلساء المنصور وأقربهم إلى نفسه، وكان قد وفد من المشرق على الأندلس سنة ٣٨٠هـ والمنصور فى أوج سلطانه، فأراد المنصور أن يجعل منه قريناً لأبى على القالى الوافد من قبل على "عبدالرحمن الناصر" وابنه "الحكم"، فقربه وأجلسه بجامع مدينة "الزاهرة" يملى كتابه "الفصوص" على أدباء قرطبة، وكان صاعد أديباً بارعاً، خفيف الروح، متوقد الذهن، حاضر البديهة يأتى بكثير من غريب الشعر بديهة، فأعجب به المنصور، وأولاه رعايته، والحقه بديوان الندماء، وأجرى عليه راتباً حسناً[٤].

يقول ابن بسام متحدثاً عن صاعد "طلع على آفاق الجزيرة فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر نجماً من المشرق قد غرب، ولساناً عن العرب أغرب، أبده من رأى وسمع، وأذكى من طار ووقع، فأراد المنصور أن يعفى به آثار أبى على البغدادى الوافد على بنى أمية قبله، وهزه لذلك فألفى سيفه كهاماً، وسحابه جهاماً، من رجل يتكلم بملء فيه، ولا يوثق على ما يذره وما يأتيه[٥].

وقد اجتمع عند المنصور من كبار الأدباء فى عصره الزبيدى والعاصمى. وابن العريف[6]، وغيرهم، وقد أراد المنصور أن يختبر صاعداً ويعرف منزلته فى العلم والأدب، فقال لهم : "هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم أنه متقدم فى هذه الآداب التى أنتم سرجها الضاحية، وأهلتها السارية، وأحب أن يمتحن ما عنده، فوجه إليه، ودخل والمجلس قد احتفل فخجل، فرفع المنصور مجلسه وآنسه، وسأله عن أبى سعيد السيرافى، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمى بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره فيها من جواب، واعتذر أن النحو ليس جل بضاعته، ولا رأس صناعته، فقال له الزبيدى : فما تحسن أيها الشيخ؟ قال : حفظ الغريب، قال فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلى يسأل عن هذا ؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب، قال الزبيدى: فقد سألناك، ولا شك أنك تجهله، فتغير لونه وقال: ؛أفعل"، قال الزبيدى: صاحبكم ممخرق ! قال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية؟ قال له : أجل. قال صاعد: وبضاعتى أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار، وفك المعمى، وعلم الموسيقى، قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجرى فى المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً، أو أتى بحكاية : تجانسها، فازداد المنصور عجباً"[7].

وما إن ينجو صاعد من حيله أو ينجح فى اختبار إلا تعرض لحيلة أخرى فقد اجتمع معاصروه من الأدباء على النيل منه، وإزاحته من طريقهم ليخلو لهم وجه المنصور، ففى يوم آخر من أيام المنصور وفى أحد مجالسه التى حضرها صاعد، قال له المنصور : "إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا، وإما بالضد عندنا لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتى به دعوى، وقد وقعت من ذلك على حقيقة، وهذا طبق ما توهمت أنه مثل بين يدى ملك قبلى فى شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال صاعد بديهة:

أبا عامر هل غير جدواك واكفُ ∴ وهل غير من عاداك فى الأرض خائفُ

يسوق إليك الدهر كل عجيبةٍ ∴ وأعجب ما يلقاه عندك واصفُ

وشائع نوْر صاغها هامرُ الحيا ∴ عليها فمنها عَبْقَرٌ ورفارفُ

ولما تناهى الحسن فيها تقابلتْ ∴ عليها بأنواع الملاهى الوصائفُ

كمثل الظباء المستكنّة كُنّسا ∴ تظللها بالياسمين السقائفُ

وأعجبُ منها أنهنّ نواظرٌ ∴ إلى بركة ضمت إليها الظرائفُ

فاستغربت له يومئذٍ تلك البديهة، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحية سقيفة فيها جارية تجذف بمجاذف ذهب لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية، فقال:

وأعجب منها غادةٌ فى سفينةٍ ∴ مكللة تصبو إليها المهايفُ

إذا راعها موجٌ من الماء تتّقى ∴ بسكّانها ما أنذرتْهُ العواصفُ

متى كانت الحسناءُ ريّان مركبٍ ∴ تَصرّف فى يمنى يديها المجاذفُ

فلم ترعينى فى البلاد حديقةٌ ∴ تنقلها فى الراحتين المناصفُ

ولا غرو أن شاقت معاليك روضة ∴ زهتها أزاهير الربى والزخارفُ

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع ∴ ورضوى ذرتها من سطاك العواصفُ

إذا قلت قولاً أو بدهت بديهة ∴ فكلنى لها إنى لمجدك واصفُ

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوبٍ، ما بين غلائل وطيقان، وعمائم، وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين ديناراً، وألحق فى ديوان الندماء(٨).

يتضح مما سبق اهتمام المنصور الشديد بالثقافة والأدب، وحرصه على توثيق صلاته بالعلماء والأدباء، واغداقه عليهم من حبه وعطفه وكرمه، بل وقدرته على تذوق الشعر واستحسان الجيد منه، والمفاضلة بين الشعراء.

وقد غدا صاعد البغدادى شاعر المنصور الأول، فيه يرسل المدائح ويسوق الطرف، وطفق المنصور يأنس به، ويصحبه فى نزهاته برياض الزاهرة، العامرة، ويستزيد من شعره فى مجالس أدبه، ولبث صاعد على مكانته تلك حتى وفاة المنصور، وأفول الدولة العامرية، وكان مما قاله صاعد البغدادى فى مدح المنصور(٩):

ياحَرْزَ كل مخوّفٍ، وأمان كـ ∴ ـل مشرّدٍ، ومعز كل مذللِ

جَدْواك إن تخصص به فلأهله ∴ وتعم بالإحسان كل مؤملِ

كالغيث طَبّقَ فاستوى فى وَبْلهِ ∴ شُعْثُ البلاد مع المراد المقبلِ

الله عونك ما أبرك بالهدى ∴ وأشهد وقعك بالضلال المشعلِ

ما إن رأت عينى، وعلمُكَ شاهد ∴ شِروى علائك فى معمٍّ مُخْولِ

وممن وفد على المنصور أيضاً من كبار الشعراء فى عصره ابن دراج القسطلى، ويوسف بن هارون الرمادى، وأبومروان الجزيرى، ويحيى بن هذيل، وابن شهيد، وقد انبرى هؤلاء الشعراء يسجلون انتصارات المنصور، ويصفون شجاعته، ويمدحونه فى كل مناسبة، وعند كل غزوة.

وقد أدى ذلك بالطبع إلى نهضة الأدب حيث أضحى الشعر حلية الرجال، والنساء، وتعددت مناحى القول فيه، بيد أن الشعر الغالب فى هذا العصر هو شعر المديح والغزل، والوصف، والفخر، والشكوى، والاستعطاف.

وقد أفاض ابن دراج القسطلى فى مدح المنصور بن أبى عامر، بل فى مدح العامريين بعامة، وأبدع فى ذلك وأجاد حتى صار الناس يتناقلون أشعاره وقد أثنى عليه النقاد والأدباء فى عصره، ومما قاله فى مدحه[10]:

ماكفر نعماك من شأنى فيثنينى ∴ عمن توالى لنصر الملك والدين

ولاثنائى وشكرى بالوفاء بما ∴ أَوْليتنى دون بذل النفس يكفينى

حق على النفس أن تبلى ولو فنيت ∴ فى شكر أيسر ما أضحيت تولينى

ها إنها نعمة مازال كوكبها ∴ إليك فى ظلمات الخطب يهدينى

تنأى بجوهر وُدٍّ غير مبتذل ∴ عندى وجوهر حمد غير مكنون

وحبذا النأى عن أهلى وعن وطنى ∴ فى كل بر وبحر منك يدنينى

وموقف للنوى أغليت متئدى ∴ فيه وأرخصت دمع الأعين العين

إلى أن قال:

وأى ظل سوى نعماك يلحقنى ∴ أو ورد ماء سوى جدواك يروينى

وقد بلغ ابن دراج الغاية فى مدح المنصور، ولم يترك باباً من أبواب المديح - الذى تفوق فيه وأجاد - إلا طرقه بغية الوصول إلى المكانة اللائقة التى يستحقها فى بلاطه فهو يرى نفسه شاعراً كبيراً لم ينل حظه، ولم يلق قدره فى عصره، فالمنصور فيما يرى ابن دراج قبلة الآملين، وكعبة القاصدين، ومفرج الكربات، وصاحب الجود والمكرمات : يقول(١١):

يا قبلةً للآملين، وكعبةً ∴ تدعو بحىّ على الندى حُجَّاجَها

ومبارز الأسد الغضاب وقد غلت ∴ حرب توكل بالحتوف هياجها

أنت الذى فرجت عنى كربة ∴ لله قد سدت علىَّ رتاجها

وجلوت من قلق المنى من ليلة ∴ طاولت فى ظلم الأسى إدلاجها

وسقيتني من جود كفك منعماً ∴ كأساً وجدت من الجياد مزاجها
فلألبسن الدهر فيك ملابساً ∴ للحمد أحكم منطقي ديباجها
جُـدّداً على طول الزمان أبى له ∴ حر التيقظ والنُّهى إنهاجها
ما عاقب الليل النهار ورجعت ∴ ورق الحمائم بالضحى أهزاجها

ولم تجد مدائح ابن دراج في الوصول إلى قلب المنصور رغم إعجابه بها وتقديره لها، فقد أفسد الحساد والحاقدون كل شئ، وكانوا له بالمرصاد.

ثانياً: إنشاء ديوان الندماء:

أراد المنصور بن أبى عامر أن يسبغ على الحياة الأدبية في عهده نوعاً من التنظيم، فأنشأ للشعراء – ضمن دواوين دولته – ديواناً يعرف بديوان الندماء، يعد دليلاً على شغف المنصور بالشعر وتشجيعه الشعراء، وهو يشبه صالوناً أدبياً في زماننا، حيث كان على رأسه عبدالله بن مسلمة وهو أحد النقاد الكبار في الأندلس وكان من أهل العلم والأدب وناقداً من نقاد الشعر، ورئيساً جليلاً في أيام المنصور، كانت مهمته ترتيب الشعراء في طبقات والمفاضلة بينهم وتقدير أعطياتهم حسب مراتبهم في الشعر وإجادتهم فيه.

كان الشعر الغنائي هو اللون الأدبي الذى غلب على غيره في بلاط المنصور، وقد بلغ من غلبته أن أنشئ ديوان خاص

للشعراء، فكانوا ينالون أجزل الصلات على ما ينشئون من شعر غالبه المديح، وكان أبرز شخصيات هذه الدائرة الأدبية التى أحاط المنصور بها نفسه صاعد البغدادى والرمادى، والوزير أبو المغيرة ابن حزم(١٢).

لقد شجع المنصور شعراء عصره على الإبداع بشتى الوسائل فقدم لهم المال والسكنى وراحة النفس، وهدوء البال، وأغناهم ذل السؤال، فلم ينشغلوا بأمور الحياة المادية وراحوا يصدحون بمدحه ويهتفون بشكره، فدائماً "أكثر الملوك ظفراً بالنصيب الأوفر من المدح هو أكثرهم بذلاً وعطاءً، وإشباعاً لحاجات الشعراء المادية، والمعنوية، وأقدرهم على بث الطمأنينة والأمن فى نفوسهم"(١٣).

وقد استطاع المنصور بحق أن يوفر للشعراء قدراً كبيراً من الحياة الكريمة، فأقبلوا عليه بمدائحهم التى تعد عيوناً فى ديوان الشعر الأندلسى.

وكان المنصور حريصاً على أن يصطحب معه فى غزواته عدداً كبيراً من الشعراء، فقد روى نه أنه اصطحب معه فى بعض غزواته أربعين شاعراً من كل طبقة ليقولوا الشعر فى غزواته، ويصفوا انتصاراته وشجاعته.

ورغم هذه الحفاوة البالغة بالشعر، وهذه الحوافز المادية التى يقدمها المنصور للشعراء، فإنه لم يكن يسمح لشاعر بالمثول بين يديه ليلتحق بديوان الندماء إلا بعد أن يجرى له اختباراً قاسياً وشديداً حيث يحتكم المنصور لذوقه الخاص تارة ولحكم النقاد الذين كانوا على رأس الديوان تارة أخرى، وقد سبق أن أشرنا لما تعرض له صاعد البغدادى من اختبارات وتجارب قاسية أمام المنصور، أخفق فى بعضها، ووفق فى بعضها الآخر حتى نال إعجابه فى النهاية .

كان امتحان الشعراء بين يدى المنصور فى ديوان الندماء، يتم على صور مختلفة "إما أن يفاجأ الشاعر بالمنصور يقترح عليه ارتجال قطعة فى موضوع يعن له، وكثيراً ما كان الأمر يتعلق بوصف لشئ من أثاث أو زهر، أو فاكهة مما يوجد فى مجلسه، أو وصفاً لحادثة طارئة تقع تحت سمع المجتمعين وبصرهم، وإما أن يقترح على الشاعر أن يعارض قصيدة مشهورة لشاعر كبير من شعراء المشرق، وإما أن يعقد ندوة تضم الشاعر وبعض نقاده أو المعترضين عليه للجدال والمناظرة"[١٤].

هكذا لم يكن الأمر سهلاً على أولئك الراغبين فى الالتحاق بديوان الندماء، فمصير الشاعر مرهون بنجاحه فى هذه

الاختبارات وتلك التجارب فإذا أثبتت التجربة قوة عارضته، وحضور بديهته، ورسوخه فى علوم اللغة والأدب، استحق أن يثبت فى "ديوان العطاء» فلم تشفع مكانة ابن دراج ولا مدائحه التى قالها فى المنصور كى يثبت فى ديوان الندماء دون أن يخضع لعدد من الاختبارات بين يدى المنصور.

وتعد قصيدته الأولى التى قالها فى مدح المنصور يعارض فيها أبا العلاء صاعداً البغدادى أول اختبار حقيقى للشاعر، يقول فى مطلعها(١٥):

أَضَاءَ لها فجرُ النُّهى فنهاها ∴ عن الدَّنِفِ المضْنى بحرّ هواها
وضلّلها صبحٌ جلا ليلة الدُّجى ∴ وقد كان يهديها إليّ دجاها
ويشفع لى منها إلى الوصل مَفْرِقٌ ∴ يهلّ إليه حليها وحُلاها
فيا للشباب الغضّ أنْهَجَ بردُهُ ∴ ويا الرياض اللهو جَفّ سفاها
وما هى إلا الشمس حلت بمفرقى ∴ فأعشى عيون الغانيات سناها
وعين الصِّبا عار المشيبُ سوادها ∴ فعن أى عين بعد تلك أراها؟
سلام على شرخ الشباب مردّدٌ ∴ وآهاً لوصل الغانيات وآها

إلى أن قال:

هو الحاجب المنصور والملك الذى ∴ سعى فتعالى جَدُّه فتناهى
سليلُ الملوك الصيد من سَرْوِ حِمْيَرٍ ∴ توسَّط فى الأحساب سَمْكَ ذُرَاها
لبابُ معاليها وإنسانُ عينها ∴ وبدرُ دياجيها وشمسُ ضُحَاها

وهي قصيدة طويلة ومتميزة لفظاً ومعنى، وقد نالت استحسان المنصور وإعجابه، وكانت سبباً في الحاق ابن دراج بديوان الندماء، بيد أن حساد الشاعر وأعداءه ومنافسيه - وهم كثر لا يخلو منهم بلاط ملك أو خليفة - سعوا به لدى المنصور، وكادوا له عنده، فذكروا أنه منتحل سارق لا يستحق أن يلتحق بالديوان، فتغيرت نفس المنصور، واهتزت ثقته في الشاعر، وساء الظن به وكان اتهامه بالسرقة والانتحال.

وقد أضحى اتهام الشاعر بالسرقة والانتحال أمراً شائعاً وتهمة تطارده تكاد تقضي على مكانته اشعرية التي تبوأها وكان على الشاعر أن يخضع لاختبارات أخرى بين يدى المنصور ليتحقق من صدقه ولتثبت براءته، وقد أعد ابن دراج عدته وأراد أن يثبت شاعريته ويعلن براءته، وينفي التهمة التي حاقت به.

أراد المنصور أن يختبر بديهة الشاعر على الطريقة المتبعة مع غيره من الشعراء فطلب منه وصف طبق تفاح أحيط بأزهار البهار، وهي صورة مركبة لايستطيعها - ارتجالاً - إلا شاعر مطبوع متمكن من أدواته، فقال ابن دراج في ذلك[١٦] (من البسيط):

ياحبَّذا خَجَلُ التفاحِ في طبقٍ .. مُنَضَّدٍ بجنيِّ الزهْرِ متسقِ

فيه عيون بهارٍ قد أحطْنَ به ∴ نواظراً بجفونِ العاشقِ الأرقِ
كأن ما احمر من تفاحه خجلاً ∴ بدر بدا قطعاً من حمرة الشفقِ
فى مجلس الملك المنصورِ يانعةً ∴ كأنما غُذيتْ من جودهِ الغدقِ

إن تلك الأبيات قالها ابن دراج فى مجلس المنصور ليدرأ عن نفسه تهمة السرقة والانتحال، وهى من الشعر المرتجل الذى يعكس قدرة الشاعر وشاعريته.

إن ما تعرض له الشاعر من اختبار يمثل ظاهرة شاعت فى الأندلس ولازمت تلك المجالس الأدبية التى كانت تعقد فى حضرة الأمراء والحكام، ويبدو أن الشاعر لم يكن من المبرزين فى شعر الارتجال، وهو المشهور بالصنعة والإحكام فى سائر شعره بيد "أن المقام لم يكن يقتضى كبير إجادة، فحسب المنصور والحاضرين فى مجلسه أن الشاعر لم يخيب الرجاء، ولم يخلف الظن، وهو غير مطالب بأكثر من ذلك ليدفع عن نفسه التهمة التى نسبت إليه"[١٧].

وهكذا نجح ابن دراج فى الاختبار ورد التهمة عن نفسه، وأتبع ذلك بقصيدة طويلة فى مدح المنصور، يقول فى مطلعها[١٨]:

حسبى رضاكَ من الدهر الذى عتبا ∴ وجودُ كَفَّيْكَ للخط الذى انقلبا

يا مالكا أصبحت كفى وما ملكت ∴ ومهجتى وحياتى بعضَ ما وهبا
ما أقلع الغيث إلا ريثما خفقت ∴ مَجَادِحُ[19] الجود من يمناك فانسكبا
ولا نأى السعد إلا وهو تجذبه ∴ شوافع المجد عن عَلْيَاكَ فاقتربا
أنت ارتجعت المنى غرّاً محجَّلة ∴ نحوى وقد أعجزتْنى دُهْمُها هَرَبا
لئن دهتنى شمالا حَرْجَفاً[20] عصفتْ ∴ بماء وجهى لقد أنشأتَها سحبا

وقد أشار ابن دراج فى قصيدته تلك إلى "الاختبار" الذى عقد له وكيف نجح فيه وافتخر بتفوقه وإجادته فى الشعر المرتجل يقول[21]:

وَدَسَّسُوا لى فى مثنى حبائلهم ∴ شنعاء بتُّ بها حَرَّان مكْتئبا
حتى هُزِزْتُ فلا زَنْدُ القريض كبا ∴ فيما لدىَّ ولا سيفُ البديهِ - نبَا
وأشرقت شاهدات الحق تنشر لى ∴ نوراً غدتْ فيه أقوال الوشاة هبَا
هيهات ! أعجز أهل الأرض أن يجدوا ∴ للدر غير عُبابِ البحرِ منتسبَا
وحاش للورد أن يعزى إلى رَمَضٍ[22] ∴ وأن يكون له غير الربيع أبَا !

وراح ابن دراج يدافع عن نفسه بأنه ليس أول من أتهم فى شعره ويستلهم التراث المشرقى مشيراً إلى شاعرين كبيرين من شعراء العصر الجاهلى هما امرؤ القيس والأعشى وكيف أنهما أتهما فى شاعريتهما، رغم براعة امرئ القيس فى وصف الفرس "إن ركبا" وبراعة الأعشى فى وصف الخمر "إذ اشربا"، يقول ابن دراج[23]:

ولست أول من أعيت بدائعه ∴ فاستدعت القول ممن ظن أو حسبا
إن "امرأ القيس" في بعض لمتهم ∴ وفي يديه لواء الشعر "إن ركبا"[٢٤]
والشعر قد أسر "الأعشى" وقيده ∴ خبرا وقد قيل "والأعشى إذا شربا"

ولم يفت الشاعر أيضاً أن يظهر للمنصور أنه ليس مقتدراً على الشعر فقط، وإنما على النثر والكتابة والخطابة، يقول[٢٦]:

عبد لنعماك في كفيه نجم هدى ∴ سار بمدحك يجلو الشك والريبا
إن شئت أملى بديع الشعر أو كتبا ∴ أو شئت خاطب بالمنثور أو خطبا

وهكذا شق ابن دراج طريقه شاعراً رسمياً في بلاط المنصور واستحق أن يثبت في "ديوان الندماء" وأن يجرى له راتب منتظم، وقد أعجب المنصور بالشاعر وكافأه بمائة دينار، واتخذه من كتاب الرسائل في ديوان إنشائه، ومنذ ذلك الحين توطدت علاقة الشاعر بالمنصور، وأضحى نجما ساطعاً في سماء الدولة العامرية .

ثالثاً: مواهب المنصور بن أبي عامر الأدبية:

تعددت مواهب المنصور الأدبية وتنوعت بين الشعر والنثر والنقد، صحيح أن ما وصلنا من شعره ونثره ونقده، واحتفظت به مصادر الأدب يعد شيئاً قليلاً لا نستطيع معه أن ندخل المنصور في عداد الأدباء المشهوردين، في الأندلس، وإبداعه على أية حال لا يمثل اتجاهاً واضحاً في الأدب الأندلسي شعره ونثره، بيد أن هذا الكم القليل يكشف عن موهبة كان من الممكن

لصاحبها أن يكون شيئى مذكوراً فى عالم الأدب لولا أن الأقدار أبت إلا أن تدفع به فى طريق آخر.

لقد احتفظت مصادر الأدب للمنصور بن أبى عامر بعدد من المقطعات الشعرية دارت معظمها حول الفخر والحماسة، ومقطعة أخرى فى الهجاء جاءت رداً على استعطاف أبى جعفر المصحفى من محبسه، يقول المنصور بن أبى عامر مفتخراً بنفسه[٢٧]:

رميت بنفسى هَوْلَ كل عظيمةٍ ∴ وخاطرتُ، والحر الكريمُ مخاطرُ
وما صاحبى إلا جنان مشيعٌ ∴ وأسمرُ خطى وأبيض باترُ
ومن شيمى أنى على كل طالبٍ ∴ أجودُ بمالٍ لا تقيه المعاذرُ
وإنى لزجَّاءُ الجيوش إلى الوغى ∴ أسود تلاقيها أسود خوادرُ
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة ∴ وكاثرتُ وفاخرتُ حتى لم أجد من أفاخرُ
وما شِدْتُ بنيانا ولكن زيادة ∴ على ما بنى عبدُ المليك وعامرُ
رفعنا المعالى بالقوالى حديثة ∴ وأورثناها فى القديم معافرُ

يفخر المنصور بنفسه فى هذه الأبيات معتداً بشجاعته وإقدامه وجوده وشرفه ونسبه ملتزماً الاتجاه المحافظ، الذى سيطر على الشعر الأندلسى آنذاك فهو يقلد المشارقة، خاصة شعراء العصر الجاهلى، فمن يقرأ هذه الأبيات يتذكر معلقة عنترة بن شداد خاصة عندما يقول لصاحبته وابنة عمه عبلة[٢٨]:

يُخْبِرْكَ من شَهِدَ الوقيعةَ أنَّنى ∴ أَغْشَى الوغَى وأعِفُّ عند المغنم

وهكذا الشعر الأندلسى حتى عصر المنصور، لم تتحقق له الأصالة بل ظل يدور فى فلك الشعر المشرقى يقتبس من فيضه، ويتأثر به مبنى ومعنى.

ولما اشتد سلطان المنصور وتعددت انتصاراته، وتوالى ظفره، وازدادت هيبته ولم تتوقف طموحاته عند حدود الأندلس كتب إلى صاحب مصر يتوعده، ويمنى نفسه بملك مصر والشام، يقول(٢٩):

منَعَ العينَ أن تذوق المناما ∴ حُبُّها أن ترى الصَّفا والمقاما

لى ديون بالشرق عند أناس ∴ قد أحلوا بالمشْعَرين الحَرامَا

إن قضوها نالوا الأمانى وإلا ∴ جعلوا وزنها رقاباً وهَامَا

عن قريب ترى خيول هشام ∴ يبلغ النيل خطوها والشَّامَا

وللمنصور مقطوعة أخرى فى "الفخر والحماسة" لا يخرج موضوعها عما سبق وهى تكشف عن قوة شخصيته وشكيمته، يفتخر فيها بشجاعته وقوته وبسالته فى الدفاع عن الدين وقتال الكافرين، يقول(٣٠):

ألم ترنى بعت الإقامة بالسُّرَى ∴ ولين الحشايا بالخيول الضوامر؟

تبدلت بعد الزعفران وطيبه ∴ صدا الدّرع من مستحكمات المسامر

أرونى فتى يحمىَ حماى وموقفى ∴ إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكر

أنا الحاجب المنصور من آل عامر ∴ بسيفي أقدُّ الهامَ تحت المغافر
تلادٌ أمير المؤمنين وعبدُهُ ∴ وناصحه المشهود يوم المفاخر
فلا تحسبوا أني شغلت بغيركم ∴ ولكن عهدت الله في قتل كافر

ومن شعره الذي جاء رداً على استعطاف أبي جعفر المصحفي له من محبسه ما أورده المقري التلمساني في نفح الطيب، يقول صاحب النفح في سيرة المنصور[٣١]:

"وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق، حط صاحبه المصحفي، وأثار له كامن حقده الخفي، حتى أصاره للهموم لبيساً، وفي غيابات السجن حبيساً، فكتب إليه يستعطفه بقوله:

هَبْني أسأتُ فأينَ العفوُ والكرمُ ∴ إذ قادني نحوَكَ الإذعانُ والندمُ
ياخير من مدت الأيدي إليه أما ∴ ترثي لشيخ رماه عندك القلمُ
بالغْتَ في السخط فاصفحْ صفحَ مقتدرٍ ∴ إن الملوكَ إذا ما استُرحموا رَحموا

فما زاده ذلك إلا حنقاً وحقداً، وما أفادته الأبيات إلا تضرماً ووقداً، فراجعه بما أيأسه، وأراه مرمسه، وأطبق عليه محبسه، وضيق تروحه من المحنة وتنفسه:

الآن يا جاهلاً زَلَّتْ بكَ القدمُ ∴ تبغي التكرمَ لما فاتك الكرمُ
أغريت بي ملكاً لولا تثبته ∴ ما جاز لي عنده نطق ولا كلمُ
فايأسْ من العيش إذ قد صرت في طبق ∴ إن الملوك إذا ما استُنقموا نقمُوا
نفسي إذا سخطت ليست براضيةٍ ∴ ولو تشفَّعَ فيكَ العُرْبُ والعجَمُ

هذا الشعر يعد من شعر المراجعات والمجاوبات، وهو لون من المطارحات الشعرية التى شاعت فى البيئة الأندلسية ونوع من الترف الفنى أوحت به تلك البيئة، وكثر فيها كثرة بالغة وقد يكون مدحاً أو وصفاً، أو استعطافاً، أو اعتذاراً أو دعوة لمجلس، ويتفق شعر المراجعات، والمجاوبات فى الوزن والقافية والموضوع[٣٢].

إن تلك المراجعة التى كان المنصور طرفاً فيها يدور موضوعها حول الاستعطاف وكانت بين حاجبين وزيرين شاعرين، قبض أحدهما على الآخر وضيق عليه، وأراد الانتقام منه والقضاء عليه، أما الذى قبض فهو المنصور بن أبى عامر، وأما المقبوض عليه المسجون فهو جعفر المصحفى، وقد شكا المصحفى وبكى واستشفع، لكنه لم يجد آذاناً صاغية ولا قلباً رحيماً شفيعاً فذهبت شفاعته أدراج الرياح، وكان رد المنصور وانتقامه "إن الملوك إذا ما استنقموا نقـرا" وقد تحقق انتقام المنصور، وبقى المصحفى محبوساً فى سجن المطبق إلى أن مات.

وأما عن نثر المنصور، فقد أورد إلينا ابن بسام فى كتابه الذخيرة نصين نقلهما عن ابن حيان عن أبيه خلف بن حسين : الأول وصية لولده عبدالملك حينما حضرته الوفاة، والثانى وصيته لغلمانه.

أما وصيته الأولى لولده عبدالملك، فيقول فيها "يابنى لست تجد أنصح لك منى فلا تعدين مشورتى : قد جردت لك رأيى ورويتى على حين اجتماع من ذهنى، فاجعلها مثالاً بين يديك . قد وطأت لك مهاد الدولة، وعدلت لك طبقات أوليائها . وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها، وخلفت جباية تزيد على ما ينوبك لجيشك ونفقتك، فلا تطلق يدك فى الإنفاق. ولا تقيض لظلمة العمال. فيختل أمرك سريعاً، فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة فاقصد فى أمرك جهدك، واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك، والرعية قد استقصيت لك تقويمها، وأعظم مناها أن تأمن البادرة، وتسكن إلى لين الجنبة . وصاحب القصر قد علمت مذهبه. وأنه لا يأتيك من قبله شئ تكرهه، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه. فلا تنم عن هذه الطائفة جملة . ولا ترفع عنها سوء ظن وتهمة، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أتم وجه، فليس لك ولا لأصحابك شئ يقيكم الحنث فى يمين البيعة إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة، فأما الإنفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه، فإنى أرجو أنى وإياك منه فى سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة، والمال المخزون عند والديك هو ذخيرة مملكتك، وعدة لحاجة تنزل بك، فأقمه مقام الجارحة

من جوار حك التى لا تبذلها إلا عند الشدة تخاف منها على سائر جسدك، ومادة الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة، وأخوك عبدالرحمن قد صيرت إليه فى حياتى ما رجوت أنى قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثى، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساغاً بينكما فى خلاف وصيتى فيسرع ذلك فى نقض أمرى، ويجلب الفاقرة على دولتى، وقد كفتيك الحيرة فيه فاكفه الحيف منك، وكذلك سائر أهلك فيما صنعت فيهم بحسب ما قدرت به خلاصى من مال الله الذى فى يدى، وخلافتك بعدى أجدى عليهم مما صرفته، فلا تضيع أمر جميعهم، والحظهم بعينى، فإنك أبوهم بعدى، فخرج ذكورهم باستخدامك، وألحف إناثهم جناحك، جبر الله جماعتهم، وأحسن الخلافة عليكم، فإن انقادت لك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل، وسبيل السيرة، وإن اعتاصت عليك فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة، ولا تطبيك وأصحابك السلامة فتتنسوا ما لكم فى نفوس بنى أمية وشيعتهم بقرطبة، فإن قاومت من توثب عليك منهم فلا تزهل عن الحزم فيهم، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض الأطراف التى حصنتها لك، وأختبر غدك إن أنكرت يومك، وإياك أن تضع يدك فى يد مروانى ماطاوعتك بنانك، فإنى أعرف ذنبى إليهم"(٣٣).

وتلك الوصـيـة واحـدة من فنون النثـر العـربى فى بلاد الأندلس وتعد ضـمن وصايا الاستخلاف وهى "نوع من العهود يضمنها الحكام، فى أواخر مدد حكمهم، الآراء، والنصائح التى يودون أن يستـضئ بهـا أو يسير على هديهـا من يرثون عنهم قيادة البلاد، وهذا الضرب أيضاً من أنواع النثر التقليدى. فقد عـرف عند العـرب، وعند الأندلسـيين منهم كـذلك منذ زمن بعيد"(٣٤).

ومن خلال هذه الوصية تتجلى سياسة المنصور التى سار عليها ويريد لولده أن يلتزم بها فى حكمه، فهو يستهلها بتهيئة ولده لحسن تلقى النصيحة والإفادة منها والثقة فى صدق الناصح وإخلاصه فهو والده وأحرص الناس عليه يمنحه زبدة تجربته الطويلة، وخبراته المتنوعة، قبل رحيله عن الدنيا.

يذكر المنصور ولده بأنه وطأ له مهاد الدولة وأمن حدودها، ووفر لها الخيرات والجبايات، ونصحه بالاقتصاد فى أموره كلها فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة، ويأمره بتوخى الحيطة مع عماله خاصة الظلمة منهم والعدل مع رعيته، ويأمره بالتثبت فيما يرفع إليه من أهل السعايات، ويحذره ممن يلتفون حول الخليفة الأموى الصغير صاحب القصر يلتمسون الوثوب باسمه ويحضه على وجوب الإحسان إليه، ويذكره بالتمسك فى كل

أموره بالكتاب والسنة ويدعوه إلى المحافظة على المال المخزون عند والدته، فهو ذخيرة مملكته وعدته عند الحاجة ويحدثه عن أخيه عبدالرحمن وعطيته له، وإخراجه عن ولاية الثغر ويوصيه بالإحسان إلى أهله وأن يتقى الله فيهم "فإنك أبوهم بعدى"، ويظهر المنصور فى آخر وصيته توجسه من بنى أمية وما انفك يتوقع الشر منهم حتى وفاته، وقد توفى المنصور، وهو يتوقع الشر منهم لبنيه دولته.

وتعد تلك الوصية ضمن الوصايا التى احتفظ بها التاريخ ويمكن "أن تكون بذاتها سجلاً صادقاً لأنماط العلاقات الأسرية والاجتماعية، وانعكاساً حياً لتطور القيم والأفكار، وقرائن صادقة للمواقف التى وجهت هذه الوصايا، وحكمت أسلوبها وأهدافها"[٣٥].

ويتراوح أسلوبها بين الخبر والإنشاء أما الأسلوب الخبرى فقد استهل به المنصور وصيته حيث عدد مناقبه وأفعاله لذلك جاء مناسباً لهذا الاستهلاك أما الأسلوب الإنشائى فقد جنح فيه المنصور إلى صيغة الأمر والطلب، وهى صيغة تناسب مقتضى الحال والمقام، فالآمر والد وملك، والمأمور ابن سيعهد إليه بتولى الملك، وبالطبع هى كغيرها من الوصايا تميل إلى الإيجاز والإجمال والبعد عن التفصيلات والتفريعات والاستطراد،

والإطناب، أما ألفاظها فسهلة واضحة بعيدة عن التنميق والتزيين والزخرفة، والمحسنات البديعية قليلة، والأسلوب إجمالاً يميل إلى التقرير ويتبعد عن التخييل، والتصوير وليس هذا عيباً أو قصوراً من صاحب الوصية فالمقام لا يستدعى ذلك، واتفق مع ما ذهب إليه على محمد فى قوله معلقاً على الوصية : "يبدو أننا لا نطمع فى أن نجد لدى المنصور بن أبى عامر – وهو على سرير الموت – التفاتاً إلى تزيين الكلام يخرجه عن الحد اللازم لبلوغ الإبانة والتأثير"(٣٦).

وثمة وصية أخرى توجه بها المنصور لغلمانه يقول فيها: "تنبهوا لأمركم، واحفظوا نعمة الله عليكم، فى طاعة عبدالملك أخيكم ومولاكم، ولا تغرنكم بوارق بنى أمية، ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم، وقد روا ما فى قلوبهم وقلوب شعيتهم بقرطبة من الحقد عليكم، فليس برأسكم بعدى أشفق عليكم من ولدى وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد وأن تكون جماعتكم كرجل واحد، فإنه لا يفل فيكم"(٣٧).

يجنح المنصور فى وصيته لغلمانه نحو الإيجاز والإجمال – كما فى وصيته – السابقة لولده – فالوقت لا يتسع للإفاضة والتفصيل، فتلك كلماته الأخيرة، وهو بين يدى ربه، يودع الدنيا، أيضاً لم يستهل الموصى وصيته بمقدمة يهيئ بها غلمانه لحسن

تلقى النصيحة، كما فعل مع ولده فالموصى ملك حاكم، ومع كونه فى آخر عـهده بالدنيـا فإن له حق السمع والطاعة على غلمـانه، وهو يضـمن طاعتـهم وإجـابتـهم إياه، فـقـد كـان ولى نعمـتـهم والمحسن إليهم، فالوصية لا تعدو أن تكون تنبيهاً وتذكيراً.

يستهل المنصور وصيته بدعوة غلمانه إلى عدم الغفلة . وأن يدركوا مصلحتهم. ويتيقظوا لمصلحتهم، وأن يحفظوا نعمة الله عليـهم، وأن هذه النعـمـة لا تكون ولا تدوم إلى فى طاعـة ولده عبدالملك الذى سيتولى الملك بعده، ولا يفوت المنصور فى تلك الظروف أن يتودد إلى غلمانه، فيذكرهم أن ولده عبد الملك إنما هو أخـوهم ومـولاهم، ويقدم الوصف بالأخ عن الوصف بالمولى كى يطمـئنهم إلى أن الحـاكم الجـديد إنما هـو أخ لهم، وهو مع كونه أخاً لهم فعليهم ألا ينسوا حقه عليهم فى السمع والطاعة فـهـو مـولاهـم وولى نعمـتـهم، ولا يفـوته أيضـاً أن يذكـر بخـوفـه وتوجسه من خطر الأمويين، وقد سبق أن ذكر ولده عبدالملك بذلك الخطر، وينبـه المنصـور غلمـانه ألا يغـتـروا بدعـاوى الأمـويين ووعـودهـم البـراقـة، فـهم دعـاة فـرقـة وانقـسام ويذكرهـم بما فى قلوبهم، وقلوب أتباعهم بقرطبة من الحقد على الدولة العامرية، وبعدذ لك يسعى الموصى إلى إغراء غلمانه بالالتفاف حول ولده، والتـمـسك به حـاكـمـاً ورئيسـاً فلن يجـدوا أشـفق عليـهم منه،

ويذكرهم بأن مصلحتهم وملاك أمرهم فى نبذ الأحقاد والتوحد، وأن يكونوا جميعاً على قلب رجل واحد، حتى لا ينال منهم أحد.

ويغلب على هذه الوصية الموجزة أسلوب الإنشاء، وهو أكثر الأساليب البلاغية ملائمة لمقتضى الحال وطبيعة المقام. فالموصى - رغم كونه على سرير الموت - حاكم له مكانته، ومن حقه أن يأمر فيطاع والموصى لهم هم الغلمان، وقد اعتادوا السمع والطاعة، لذلك كان مناسباً أن يستخدم المنصور فعل الأمر (تنبهوا) و (احفظوا) والنهى فى قوله (ولا تغرنكم) . ويعود إلى استخدام صيغة الأمر فى قوله (وقدروا)، ويستخدم كذلك أن والفعل المضارع فى قوله ·أن تنسوا) و(وأن تكون) ليضمن لهم السلامة فى مستقبل أيامهم.

وتجئ ألفاظ الوصية وعباراتها سهلة واضحة بعيدة عن الإغراب والتعقيد، ويبتعد الموصى عن الزخرفة والتزيين والإيغال فى الخيال، فالمقام لا يتطلب ذلك والأسلوب التقريرى هو الأنسب فى مثل هذه الظروف.

ويعلق محمد عبدالله عنان على وصية المنصور لولده وغلامانه قائلاً : "وفى وصية المنصور لولده وغلمانه، يرتسم برنامج سياسته كلها، وتبدو بالأخص نواحى توجسه وتخوفه،

فهو لم يكن يأمن جانب بنى أمية قط، وقد لبث يتوقع الشر منهم حتى وفاته، ثم توفى وهو يتوقع الشر منهم لبنيه ودولته، وقد كان المنصور فى ذلك صائب التقدير، بعيد النظر"[٢٨].

وهكذا تتجلى لنا موهبة المنصور بن أبى عامر فى جانبى الشعر والنثر من خلال هذا الكم القليل الذى وصلنا، واحتفظت به مصادر الأدب الأندلسى، ويبقى لنا أن نعرض جانباً آخر مهما من هذه الموهبة الأدبية المتنوعة لدى المنصور، ألا وهو جانب النقد، وقد آثرنا، أن نرجئ الحديث عنه إلى الفصل الرابع الخاص بالنقد فى مجالس المنصور بن أبى عامر.

هوامش الفصل الثانى

(١) عبدالواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٧٥ .

(٢) الحلة السيراء، الجزء الأول، ص ٢٧٣ .

(٣) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٧٥.

(٤) انظر، عبدالواحد المراكشى، المعجب، ص ٧٥ ومابعدها، وانظر، محمد عبدالله عنان، الدولة العامرة، ص ٨٨.

(٥) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٨، ٩ .

(٦) أبوبكر الزبيدى اللغوى المشهور صاحب طبقات النحويين، ولحن العامة والاستدراك على العين وغيرها، والعاصمى هو محمد بن عاصم النحوى القرطبى، وابن العريف هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى، المشهور بابن العريف، فقيه زاهد، وأديب متصوف، يروى عنه أنه كان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً، وله شعر كثير معظمه فى الزهد، انظر : ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٩٠، وانظر، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ومسرح التأنس، تحقيق محمد على شوابكة، ص٢٧٦.

(٧) نفسه، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ١٤، ١٥.

(٨) نفسه، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ١٨، ١٩.

(٩) عبدالواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ص ٨٢.

(١٠) الثعالبى (أبو منصور عبدالملك بن إسماعيل الثعالبى، يتيمة الذهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، المجلد الثانى، ص ١٠٣. دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٩٧٣م-١٣٩٢هـ)، وانظر ديوان ابن دراج، ص

(١١) ديوان ابن دراج، ص ٢٤، ٢٥.

(١٢) انظر: آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة د. حسين مؤنس، ص٦٥، ومابعدها، الطبعة الأولى مايو ١٩٥٥م، مكتبة النهضة المصرية.

(١٣) د. أشرف محمود نجا، قصيدة المديح فى الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية، عصر الطوائف، ص ١٩، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

(١٤) ابن دراج القسطلى، الديوان، تحقيق: د. محمود على مكى، المقدمة، ص ٤٢، الطبعة الثانية المكتب الإسلامى، دمشق، سوريا.

(١٥) نفسه، ص ٨، ومابعدها.

(١٦) الديوان، ص ٤٣٥.

(١٧) نفسه، ص ٤٥.

(١٨) الديوان، ص ٣٠٨.

(١٩) المجادع : هى الأنواء.

(٢٠) الحرجف : الريح الحرجف : هى الباردة الشديدة الهبوب.

(٢١) الديوان، ، ص ٣٠٩.

(٢٢) ارمض: هو شدة وقع الشمس على الرمل.

(٢٣) الديوان، ص ٣٠٩.

(٢٤) الإشارة إلى المقولة النقدية.

(٢٥) هنا إشارة إلى المقولة النقدية التى أوردها ابن رشيق القيروانى فى كتابه "العمدة" عن أشعر العرب فقيل : "امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب" انظر: العمدة، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الجزء الأول، ص ٩٥، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

(٢٦) الديوان، ص ٣١٠.

(٢٧) المقرى التلمسانى، نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ٤٠٠/١، وانظر الأبيات فى : ابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين موسى، ٢٧٤/١، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د. شوقى ضيف، ٢٠٣/١.

(٢٨) ديوان عنترة بن شداد، شرح د. يوسف عيد، ص٢١، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.

(٢٩) ابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، ١/ ٢٧٥.

(٣٠) نفسه، ٢٧٥/١، ٢٧٦.

(٣١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٠٧/١٠، ٤٠٨ .

(٣٢) انظر، د. بدير متولى حميد، قضايا أندلسية، ص ١١٣، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، وانظر كتابى، شعر المراجعات والمجاوبات فى الأندلس.

(٣٣) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٧٦، ٧٧.

(٣٤) على بن محمد، النثر الأدبى الأندلسى فى القرن الخامس، مضامينه وأشكاله. الجزء الأول، ص ١٧٩، دار الغرب الإسلامى بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(٣٥) د. سهام الفريح، الوصايا فى الأدب العربى القديم، ص ١٧، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

(٣٦) النثر الأدبى الأندلسى فى القرن الخامس مضامينه وأشكاله، ص ١٨٠.

(٣٧) الذخيرة لابن بسام - القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٧٧، ٧٨.

(٣٨) الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، ص ٩٢.

الفصل الثالث
الشعر في مجالس المنصور بن أبي عامر

أولاً : المدح.

ثانياً : الوصف

ثالثاً : الفكاهة والتسلية والمرح.

السمات الخاصة.



الفصل الثالث
الشعر فى مجالس المنصور بن أبى عامر

تعد مجالس الأدب فى الأندلس باعثاً بها من بواعث الشعر، ورافداً قوياً من روافده، فقد تأثر الشعر بتلك المجالس - وكانت كثيرة بين الخاصة والعامة - وكان الشعر يقرض فيها بديهة وارتجالاً، ومعظمه مقطعات صغيرة، وأكثره فى الوصف والغزل، وقد وجد المدح لنفسه مكاناً فى تلك المجالس خاصة إن أكثر الداعين إليها ملوك ووزراء.

وقد يكون الشعر مقصوداً لذاته، معارضة، ونقداً، وتباهياً، ونقضاً "وكثيراً ما كان الشعراء يبيتون وهم يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون أخبار الآداب، أو يدعون إخوانهم إلى إحدى المنازه ثم يتدارسون الشعر، ويذكرون لأحدهم معنى من المعانى، فيعارضونه أو يختصرونه[1].

وكثيراً ما يجتمع الشعراء فى الأعياد والمناسبات، "ينشدون أرق التهانى على مسامع الأمراء، ففى أول العام الهجرى، وعيد الفطر، وعيد الأضحية وما شابه ذلك، جرت عادتهم أن يرفعوا أعذب التهانى ليظفروا بأجزل العطاء، وفى أغلب الانتصارات الحربية، أو السلامة من الأمراض، وفى أثناء حفلات الأعذار

والزواج، وغير ذلك من شتى المناسبات، كان للشعر صوته، وللشعراء دورهم الكبير»[٢].

كانت نفوس الأندلسيين قلقة دائماً، يخافون أن يفجأهم الدهر بالمصائب، لكثرة الحروب والصراعات فى بيئتهم، لذلك كانوا يبادرون إلى اللذات، وهم يقصدون تلك المجالس يشربون الخمر علها تذهب ما بهم من هم وخوف وقلق، فكثيراً ما تتحول مجالس الأدب إلى مجالس أنس "لايقصد بها غير تزجية أوقات الفراغ، والترويح عن النفس، ثم يأتى الشعر فيقوم بدور عظيم فى إمتاع النفس، وإدخال السرور على المتسامرين، والشعراء عندئذ يستلهمون معانى الغزل، وصفات الخمر والطبيعة، وقد تحتم عليهم المناسبات الطارئة المفاجئة، إنشاد الشعر على البديهة، وارتجاله دون ترو كبير، وبمقدار سرعة استجابات الشاعر لتلك المواقف المباغتة، وبراعته فى التعبير عنها يكون الحكم له أو عليه، ويحل من نفوس الندامى المنازل التى تلائم نبوغه"[٣].

وعندما تعقد تلك المجالس يفكر أصحابها فى الشاعر الذى يدخل الإمتاع والسرور على نفوسهم، فإذا ما ظفروا به أرسلوا إليه بطاقة رقيقة - غالباً تكون شعراً - تدعوه إلى الحضور، وعلى الشاعر أن يجيب شعراً قبل أن يحضر بنفسه.

أولاً : المدح :

كانت مجالس المنصور عامرةً بكبار الشعراء فى عصره، وقد تعددت مجالس المنصور بن أبى عامر، وتنوعت موضوعات الشعر فيها ومن أهم هذه الموضوعات المدح، والوصيف، وشعر الفكاهة والتسلية والمرح.

وقد قام المنصور بأكثر من خمسين غزوة وكان يصطحب معه أحياناً أكثر من أربعين شاعراً كى يشاهدوا ويصفوا انتصاراته وبطولاته ويشهدوا بشجاعته وجرأته وإقدامه، وقد تعددت بل كثرت قصائد المديح التى قيلت بين يدى المنصور وتبارى الشعراء فى الإجادة فيها وتجويدها لينالوا الإعجاب والثناء وبالتالى يظفروا بالعطايا والهبات.

ولن أتحدث عن هذه القصائد الطوال، وإنما سأقتصر على تلك القصائد والمقطعات التى قيلت فى حضرة المنصور وفى مجالسه الكثيرة التى عقدت فى بلاطه، وكان يحرص على حضورها والمشاركة فيها، متذوقاً ومبدعاً وناقداً، فشعر المجالس له خصوصيته وتميزه، وهو - بلا شك - يختلف عن تلك القصائد الطوال التى تقال على الروية، وتهدف للتكسب والنوال وتكون فى مناسبات وأوقات مختلفة. وقد احتل المدح المرتبة الأولى بين موضوعات الشعر فى تلك المجالس، فهو الموضوع

الذى يجب أن يقدم بين يدى المنصور، حيث يخضع الشاعر لاختبار قاس ليثبت شاعريته، وبالتالى يحق له أن يلتحق بديوان الندماء.

وكان أبو العلاء صاعد البغدادى من أخلص جلساء المنصور وأقربهم إلى نفسه، وكان أحد المعجبين بشخصية المنصور وشجاعته، وقد أعجب به المنصور وأولاه قدراً كبيراً من الرعاية والاهتمام.

وقد تبارى الشعراء فى مجالس المنصور فى مدحه ووصف شجاعته وكرمه، وكان صاعد البغدادى أحد الفرسان فى هذا المجال.

ومما قاله صاعد بين يدى المنصور وفى أحد مجالسه بديهة[٤]:

أبا عامرٍ هل غيرُ جَدْواكَ واكفٌ ∴ وهل غيرُ من عاداكَ فى الأرضِ خائفُ

يسوق إليك الدهر كل عجيبةٍ ∴ وأعجبُ ما يلقاه عندكَ واصفُ

فأبوعامر كريم معطاء تنهمر عطاياه كما ينهمر المطر، وهو شجاع مقدام يخيف الأعداء، ويسوق إليه الدهر العجائب، فكل من يرد وصفه يجد عنده العجب العجاب.

ولا يخفى ما ينطوى عليه البيت الأول من بنية فنية تتمثل فى أسلوب النداء الذى لم يستخدم الشاعر فيه أداةً للنداء وهو يدل على التودد والقرب، ويجئ الاستفهام التقريرى ليؤكد أن الممدوح نسيج وحده فى العطاء والكرم، وأنه لا نظير له فى ذلك، ويتكرر الاستفهام التقريرى فى الشطر الثانى ليؤكد شجاعته الفريدة التى تخيف الأعداء فقط دون غيرهم من عامة الناس فهى الشجاعة العاقلة الرشيدة المنضبطة التى تبتعد عن التهور، وتوضع فى مكانها الصحيح، وتستخدم فى مواجهة أعداء الدين.

ويستهل البيت الثانى بصيغة المضارع التى تفيد التجدد والاستمرار فالدهر دائماً يأتى إلى الممدوح بالعجب العجاب، ويلح الشاعر فى تأكيد هذا المعنى، فيجئ بأفعل التفضيل (وأعجب)، والفعل المضارع فى قوله (يلقاه)، يؤكد تجدد العجائب لدى الممدوح، والنكرة فى قوله (واصف) تدل على أن أى واصف مهما كان قدره وقدرته على الوصف يستطيع أن يجد العجب العجاب مما يدعو لوصفه وتصويره.

ويلح صاعد البغدادى فى إبراز صفة الشجاعة فى شخصية المنصور، وكان المنصور أحد الفرسان الشجعان بحق، فقد استطاع أن يؤمن حدود الدولة الإسلامية ويحقق الانتصارات العظيمة على الفرنجة، وأن يأسر "غرسية بن شانجه

من ملوك الروم، يقول صاعد، وكان قد أهدى إلى المنصور «إيلا»[٥]، وكتب معه بهذه الأبيات[٦]:

يا حِرْزَ كلّ مخوّفٍ وأمان كـ ∴ ـل مشرّدٍ ومعزّ كل مذلّلِ

عبدٌ جذبْتَ بضبْعه ورفعْتَ منْ ∴ مقدارِه أهْدَى إليك بإيّلِ

سمّيتُه "غرْسيّةً" وبعثتُهُ ∴ فى حَبْلِهِ ليتاحَ فيه تفاؤُلى

ويعلق ابن بسام على هذه الأبيات قائلاً : "فقضى فى سابق علم الله تعالى وقدره أن غرسيه بن شانجه من ملوك الروم، وهو أمنع من النجوم، أسر فى ذلك اليوم بعينه الذى بعث فيه صاعد بالإيل وسماه غرسية على التفاؤل بأسره، وكان أسره فى ربيع الأول سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة . وهكذا يكون الجد للصاحب والمصحوب"[٧].

ويعد ابن دراج القسطلى – كما أشرت سابقاً – واحداً من الشعراء الأندلسيين الذين وفدوا على المنصور بن أبى عامر وكان آنذاك – شاباً فى مقتبل العمر إذا قيس بأولئك الفحول من الشعراء الأندلسيين، الذين ضمهم بلاط المنصور، وقد استطاع هذا الشاب بمدائحه الرائعة أن يزاحم الشعراء الكبار الواقفين على باب المنصور، وأن يلفت الأنظار ويجر على نفسه كثيراً من ألوان النقد والتجريح.

وتعد قصيدة ابن دراج الهائية فيما يرى د. محمود على مكى[٨] أول اتصال بين الشاعر، وبلاط المنصور العامرى، فهى أول ما أنشده الشاعر فى مجلس المنصور وبين يديه، وتلك القصيدة فى مدح المنصور، وقد استهلها الشاعر بمقدمة طويلة تحدث فيها عن رحلته من بلده إلى قرطبة، وعن وداعه لزوجه وابنته، يقول[٩]:

ولله عزمى يوم ودعتُ نحوه ∴ نفوساً شجانى بينُها وشجاها

وربّةُ خِدْرٍ كالجُمَان دُمُوعُها ∴ عزيزٌ على قلبى شطوطُ نواها

وبنتُ ثمانٍ ما يزال يروعُنى ∴ على النأْيِ تذكارِى خُفُوقَ حشاها.

ومَوْقفَها والبينُ قد جَدَّ جِدُّهُ ∴ منوطاً بحبلَىْ عاتقىَّ يداها

تشكى جَفَاءَ الأقربين إذا النّوى ∴ تَرامَتْ برحلى فى البلاد فتَاها

واتفق مع ما ذهب إليه د. محمود مكى من أن هذه الرحلة ليست ضرباً من الخيال اصطنعه الشاعر ليستثير عطفاً أو يستدر إشفاقاً، وأن ما فى تصوير الشاعر من واقعية وتفصيل يشعر بأنه صادق مخلص، فلايمكن أن يلفق الشاعر هذه القصة عن زوجته وابنته الصغيرة فى أول مرة يحضر فيها مجلس المنصور، وقد اتسم الشاعر بالصدق وحرارة العاطفة عند حديثه عن أبنائه وتصويره عاطفة الأبوة نحوهم[١٠].

وتتجلى من خلال الأبيات بعض مشاعر الحزن والأسى لدى

الشاعر لفراق زوجته وابنته، كما يتضح خوفه على هذه العائلة الصغيرة الذى خلف رحيله عنها فراغاً لايسده "جفاء الأقربين" ويستخدم الشاعر أسلوباً موحياً فى عرض مشهد الفراق: فتلك زوجة تبكى بدموع كالجمان، وهذه ابنه فى الثامنة يهزها فراق الأب، فتخفق أحشاؤها ألماً ولوعة، وتتعلق بأبيها، وتطوق عاتقيه بذراعيها عله يرق أو يلين.

ويدو أن ابن دراج كلما تعرض لضائقة تذكر عائلته، وألح فى تصوير مشهد الفراق، وكأنه يريد بذلك أن يستمد من ضعفه قوة تدعمه وتحفزه على مواصلة الطريق، وتفجر فى نفسه معانى الصبر والمصابرة والقدرة على التحدى.

هكذا استطاع الشاعر أن يحقق غاية التأثير فى المتلقى ويجد التجاوب المطلوب لدى الممدوح، وتلك أهم غايات الشعر الأصيل.

وينتقل الشاعر بعد هذه المقدمة الطويلة إلى مدح المنصور، فيقول[١١]:

وأقسم جودُ العامرىّ ليرجعَنْ ∴ حَفيّاً بها مَنْ كان قبلُ جَفَاها

ورامتْ ثواءً من أبٍ وثواؤه ∴ على الضّيْم بِرْحٌ من شماتِ عِدَاها

وَأنّى لها مثوى أبيها وقد دَعتْ ∴ بوارقُ كفّ العامرى أباها

بنىّ إليك اليـوم عنّى فـإنهـا ∴ عـزائمُ كفُّ العـامـرى مـداها
فحطت بمفنى الجود والمجد رَحْلها ∴ وألقت بربْع المكْرُمَـات عَـصَـاها
لدى مَلِكٍ إحـدى لواحظ طرْفــه ∴ بعين الرّضا حَسْبُ المنى وكـفـاها
هو الحـاجب المنصـور والملك الذى ∴ سـعى فـتـعـالى جَـدُّه فَـتَنَاهى
سليل الملوك الصّيد من سَرْو حِمْيَر ∴ توسّط فى الأحسـاب سَمْكَ ذُرَاها
لبابُ مـعـاليـهـا وإنسـانُ عينهـا ∴ وبدْرُ دياجيـهـا وشـمسُ ضُحَـاها
مُـعَظّمهـا منْصـورها وجـوادها ∴ وفـارسُـهـا يوم الوغى وفـتـاها
ووارث مَلْكٍ أثّلتـْـه ملوكُـهـا ∴ وجـامعُ شَـمْلَىْ مـجْـدها وعُـلَاها
نماه لقـوْد الخَـيْل "تُبّعُ" فـخـرها ∴ وأورثه سَـبْىَ الملوك "سـبـاها"
ذوو الملك والتـيـجـان والغُـرَر التى ∴ جَـديرٌ بها التيـجانُ أن تتـباهى
شـمـوسُ اعـتـلاءٍ توجتْ بأهلّةٍ ∴ وسُرْبلتِ الآجـالُ فـهْـو كَـسَـاها

هكذا أحسن الشاعر الانتقال من الحديث عن الذات حيث التوجع والشكوى إلى المدح والثناء حيث موضوع القصيدة الأصلى، وكان الشاعر موفقاً إلى حد كبير - رغم إطالته فى المقدمة - فى تهيئة المنصور، وجذب انتباهه والاستحواز على اهتمامه، والمنصور - رغم شدته وقسوته أحياناً - إنسان رقيق وأديب يزن الكلام، ويرطب للفن والجمال، وهو قبل ذلك وبعده أب يفيض قلبه بعاطفة الأبوة والرحمة والشفقة على الأبناء .

ويركز الشاعر فى هذه الأبيات على إبراز صفة الجود

والكرم وكذلك كرم الأصل والنسب، وأيضاً الشجاعة والإقدام، وتلك هى الصفات التى ركز الشعراء عليها فى مدحهم المنصور.

ومن خلال الأبيات يتضح كيف أن الشاعر يتفنن فى استخدام كل الوسائل الفنية المتاحة للتأثير فى نفس المنصور بن أبى عامر، فهو تارة يبرز كثرة أبنائه (ودعت نحوه نفوساً)، وتارة يظهر تبدمهم وضجرهم لكثرة ترحاله فى صورة فريدة كما فى الأبيات الأولى، وتارة يعمد إلى نقل معاناتهم بسبب فراقة (تشكى جفاء الأقربين) ومن خلال الحوار بين ابنه الثامنة والأب المتعب الذى ينوء بثقل المسئوولية والأبناء الضعاف الذين لا ذنب لهم فى كل ذلك البلاء الذى يتعرضون له وهنا يسعى الشاعر إلى تسكين روعهم فيمنيهم بلقاء الممدوح حيث الكرم والعطاء، ففى ظلال الممدوح وفى رحاب جنته سينال الشاعر كل ما يبتغى.

ولا يخفى فى هذه الأبيات ما يعرف بالبنية الغائبة أو النص الغائب الذى يتجلى فى ذلك السخط على الأوضاع العامة وظروف الشاعر الحرجة التى اضطرته إلى إراقة ماء الوجه حيث يتوقف رزقه على مدح هذا وذاك.

وابن دراج هنا يبالغ فى مدح المنصور عن طريق الصورة، حيث جرت العادة أن يعبر الشعراء عن أن المنى تبتسم للممدوح أو أن الأمانى التى يسعى إليها الممدوح تتحقق له وتصاحبه،

ولكن الشاعر يخالف ذلك فيجعل المنى هى التى تسعى إلى الممدوح وتريد أن تحظى بإحدى لواحظ طرفه وحسبها أن ينظر الممدوح إليها بعين الرضا، وهو بهذا يمهد لوصف المكانة التى وصل إليها المنصور فهو سليل ملوك اليمن القديم الذى يحتل فيهم مكانة رفيعة، ويتوسل الشاعر ببعض التشبيهات التقليدية، فالممدوح لباب المعالى، وإنسان العين، وبدر الدجى وشمس الضحى، ويعتمد فى صياغة هذه التشبيهات على الإيقاع الموسيقى الناتج عن حسن التقسيم، ويقرن الشاعر بين صفات الشجاعة والكرم والفروسية وعراقة النسب، فهذا الملك بما فيه من رفعة ومجد يمتد إلى أمد بعيد فقد أصله جدوده الملوك وظل فيهم حتى ورثه عنهم بما يحمله من مجد وسؤود، واستطاع هو أن يحافظ عليه ويجمع فيه أمجاد سابقيه(١٢).

ومما قيل فى مجلس المنصور بن أبو عامر أيضاً قول ابن دراج(١٣)

فمن يبارى جواد الشكر فيك وقد ∴ ناولتنى يدك العلياء يوم كَبَا؟
وكنت ملجأه فى النائبات وقد ∴ سال الزمان عليه أسهماً وظُبَى
وذبَّ عدلُكَ دون الحق منتقماً ∴ وردَّ نصرُكَ ظلمَ العِلْمِ محتسَباً
حتى تلافَيْتَ فى ضَنْكِ المقام له ∴ حظاً غدا بين أيدى الظلم منتهَبَا
أبى لك الله إلا أن تفوز بها ∴ خيراً ثواباً وخيراً عنده عُقُبَا

فى هذه الأبيات يصل الشاعر إلى قمة إبداعه بين يدى الممدوح، فالأبيات تكشف عن ثناء لا حدود له للممدوح يظهر من خلال الاستفهام الإنكارى وتنطوى الأبيات على إحساس قاسٍ بالظلم والجور، فما أكثر النائبات، وما أقسى أسهم الزمان على الشاعر، أما الممدوح فبجوده وعدله كان الملجأ والملاذ ليفوز بالخير والثواب فى الدنيا والآخرة. وقد قام الشاعر فى البيت الأخير علاقة تناص[14] مع قوله تعالى فى صورة «الكهف» {هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)} حيث أظهر براعة فائقة فى تعامله مع الاية القرآنية، واستلهامه لها، فقد نقلها من سياقها القرآنى العام المرتبط بإظهار ما أعده الله من عاقبة الخير والثواب لأوليائه إلى سياق خاص يرتبط بالممدوح وما أعده الله له من فوز بعاقبة الخير والثواب، نظير ما نال الشاعر منه من جود وعدل، وإنصاف وأمان.

فالشاعر استطاع أن يوظف الآية القرآنية فى التعبير عن مدح الشاعر، حيث اتسع النص الشعرى لديه لاقتباس هذا الجزء من الآية القرآنية، وقد ذاب النص الشعرى وتلاشى أمام روعة وبلاغة وإعجاز النص القرآنى، وقد أحسن الشاعر التمهيد لاستقبال النص القرآنى واحتوائه، وغدا السياق منسجماً متناغماً معبراً عن الفكرة التى يرى الشاعر إيصالها للآخرين.

ويعد أبو مروان عبدالملك الجزيرى أحد الشعراء الأندلسيين الكبار الذين ضمتهم مجالس المنصور، وقد استطاع بجده وبيانه وحدة بديهته أن يلفت الانتباه نحوه فيغدو لسان المنصور وكاتبه الأول ووزيره، بعد أن أصبح أحد الندامى المقربين من قلبه المادحين له يقول عنه صاحب "المطمح" : "ودخل ليلة على المنصور، والمنصور قد أتكأ وارتفق وحكى بمجلسه ذلك الأفق، والدنيا بمجلسه ذلك مسوقه، وأحاديث الأمانى به منسوقة، فأمره بالنزول فنزل فى جملة الأصحاب، والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب، والأفق يبدو به أغر ثم يعود مبهماً، والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما، وأبومروان قد انتشى، وجال فى ميدان الأنس ومشى، وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى، فأقلقه ذلك المغيب والالتياح، وأنطق ذلك السرور والارتياح، فقال:

أرى بدر السماء يلوح حينا ∴ فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدّى ∴ وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عندى إليه ∴ لراجعنى بذا حقاً جوابا(١٥)

ومما جاء فى مجالس المنصور من شعر المدح ما قاله عبدالملك الجزيرى أيضاً بين يدى المنصور فى يوم "نشأت فى السماء سحابة عمت الأفق، ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر ابن أبى عامر، فقال الجزيرى بديهة:

أما الغمام فشاهِدٌ لك أنّه ... لا شكَّ صِنْوكَ بل أخوك الأوثقُ
وافى الصنيعَ فحين تمّ تمامُه ... فى النحو أنشأ ودْقَهُ يتدفقُ
وأظنه يحكيك جوداً إذ رأى ... فى اليوم بحرك زاخراً يتفهّقُ[16]

ومدح الجزيرى لا يختلف عن مدح غيره من الشعراء فى مجالس المنصور، فالممدوح جميل الوجه يفوق جماله بدر السماء، أما فى الجود فهو البحر الزاخر، والغمام شاهد له بل هو يحكيه جوداً.

هكذا كان لشعر المدح النصيب الأوفى فى مجالس المنصور بن أبى عامر، واتجه المدح كله إلى صاحب تلك المجالس، يهتف بشجاعته وجرأته وإقدامه، ويصدح بانتصاراته وفتوحاته، ويشهد بفضله وكرمه وسخائه .

ثانياً: الوصف:

كثر شعر الوصف فى المجالس الأدبية، وغلب عليه شئ من الذاتية، فهو يصدر من أحد شعراء البلاط، أو أحد الندماء، ويقال غالباً بين يدى صاحب المجلس، ويطلب منه - أحياناً - حيث يقال للشاعر صف فيصف، وقد يصدر الوصف عن صاحب المجلس، فيكون الإعجاب والتعليق من الحضور، وقد يأتى الشاعر بالجديد أو الطريف، ويميل أحياناً نحو الفكاهة،

والظرف وكثيراً ما يتطرق المدعوون من الشعراء إلى وصف المجلس بما فيه من خمر وطرب، فيصفون الإبريق الذى يصب الخمر، ويتحدثون عن الطوافين بالخمر سقاتها ولونها وأدواتها وما تفعله فى النفوس، فالخمر عند الأندلسيين أرق من الهوى وأرق من النفس، وهى فوق ذلك تهزم جيوش الهم بما تفيض به من سرور وفرح عند شاربيها.

تلك هى الخمر التى انتشرت فى مجالس الأنس والأدب عند الأندلسيين، وإذا كان الأندلسيون قد أكثروا من وصفها وشربها فى مجالسهم، فإن شيئاً آخر كان يبدو فى تلك المجالس، وهو وصف الطبيعة، فقد "يكون المجلس نفسه فى روضة، فيصف الشعراء المجلس والروضة معاً"(١٧).

هكذا كانت طبيعة الأندلس الرائعة حاضرة فى شعر المجالس تلك الطبيعة التى أثرت فى الشعر، وأمدت الشعراء بكل أفانين الحياة، فرسموا لنا لوحات فنية غاية فى الروعة والجمال، وكما سبق أن أشرت كان المنصور بن أبى عامر أكثر ملوك الأندلس عناية بمجالسه، حتى أضحت مظهراً من مظاهر الحضارة الأندلسية الزاهرة، وآيةً شاهدة على عظمة الدولة العامرية فى ذلك الوقت وطفق الشعراء الأندلسيون يتنافسون فى وصف تلك المجالس إعجاباً بها وإظهاراً لقدراتهم الفنية

ومواهبهم الشعرية، فهذا الوزير أبومروان عبدالملك الجزيرى، يصف أحد مجالس المنصور، وما فيه من مظاهر الحضارة العمرانية قائلاً[١٨]:

وتوسطتها لجة فى قعرها ∴ بنت السلاحف ما تزال تنقنق

تنساب من فكى هزبر إن يكن ∴ ثبت الجنان فإن فاه أخرق

صاغوه من ند وخلق صفحتى ∴ هاديه محض الدر فهو مطوق

للياسمين تطلع فى عرشه ∴ مثل المليك عراه زهو مطرق

ونضائد من نرجس وبنفسج ∴ وجنى خيرى وورد يعبق

ترنو بسجو عيونها وتكاد من ∴ طرب إليك بلا لسان تنطق

وعلى يمينك سوسنات أطلعت ∴ زهر الربيع فهن حسنا تشرق

لكأنما هى فى اختلاف رقومها ∴ رايات نصرك يوم بأسك تخفق

فى مجلس جمع السرور لأهله ∴ ملك إذا جمعت قناه يفرق

حازت بدولته المغارب عزة ∴ فغدا ليحسدها عليه المشرق

فى هذه الأبيات يصف الوزير الجزيرى أحد مجالس المنصور وكانت كثيرة ورائعة، ويتوسل الشاعر بموهبته الفنية فيبدع لنا لوحة فنية غاية فى الجمال والإبداع، فتلك البركة من المياه الصافية والسلاحف فى قاعها تحدث بأصواتها نغماً أسراً، وهى تنساب من فكى أسد رابض يرمز القوة والشجاعة، وقد أتقن صنعه فصيغ من العود والبخور، وتشكل من الدر

الخالص، وهذا المجلس الذى يصفه الشاعر يعقد - فى ظلال الطبيعة الأندلسية الزاهرة وهنا تتجلى آية الإبداع لدى الشاعر فيرسم لنا تلك اللوحة الجميلة متوسلاً بعنصر التشخيص فالياسمين يتطلع فى عرشه مزهواً مفتخراً مثل المليك، وهذا المنظر الجميل لتلك الأشجار المتراصة المتناسقة من النرجس، والبنفسج والخيرى والورد وهى ترسل شذاها فيعطر الأجواء، ويبث الشاعر الحياة والحركة فى تلك الزهور فيخلع عليها من الصفات الإنسانية ما يجعلها تديم النظر، وتطرب وتكاد تنطق بلا لسان، وتكتمل صورة المجلس حيث يجلس المنصور وعن يمينه تلك السوسنات وقد تفتحت أزاهيرها المشرقة بالحسن والجمال، وهى ترفرف بألوانها المختلفة البهية الزاهية كأنها رايات النصر فى ساحات القتال.

وقد استطاع الملك المنصور بطلعته المهيبة أن يجمع لأهل هذا المجلس السرور، وأن يحقق لدولته من العزة والسؤدد ما يحسدها عليه المشرق.

لقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يشق طريقه إلى قلب المنصور فيغدو أحد المقربين إلى نفسه عن طريق بديهته ولباقته وحذقه وبراعته فى فن الوصف.

وتنطوى هذه الأبيات على جانب ذاتى يتجلى فيما خلعه الشاعر على مظاهر الطبيعة من أحاسيس ومشاعر تعكس انفعاله وإعجابه بجمال الطبيعة من ناحية وبشخصية المنصور من ناحية أخرى.

ومن شعر الوصف فى مجالس المنصور ما أورده ابن بسام فى الذخيرة يقول: ؛:وأدخل على المنصور يوماً وردة فى غير أيامها، لم تستتم فتح كمامها، فقال فيها صاعد على الارتجال:

أتتك أبا عامرٍ وردةٌ .·. يذكّرك المسكُ أنفاسَها

كعذْراء أبصرها مبصِرٌ .·. فغطّتْ بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور[١٩] .

وطلب المنصور من صاعد أن يصف له شجر "الترنجان" وكان قد عبث به المنصور، فقال صاعد[٢٠]:

لم أدرِ قبل تُرُنْجَانٍ عَبِثْتِ بِهِ .·. أنّ الزُّمرّدَ قُضبانٌ وأوراقُ

من طيبه سرق الأترج نكهته .·. يا قومُ حتى من الأشجار سُرّاقُ

كأنما الحاجب المنصور علمه .·. فعل الجميل فطابت منه أخلاقُ

من ليس يُقْعِدُهُ من سؤددٍ قَدَمٌ .·. ولا تقوم له فى سَوْأةٍ سَاقُ

ومما قيل من شعر الوصف فى مجالس المنصور ما أورده أبوالوليد الحميرى فى كتابه "البديع فى وصف الربيع" من قوله :

"ولبعض شعراء الأندلس وقد دخل على المنصور بن أبى عامر – رحمه الله – وبين يديه ثلاث سوسنات إحداها لم تفتح، فسأله وصفها فقال بعد أبيات لم أحتج إلى ذكرها:

تبدو ثلاث من السّوْسان قائمةً ∴ وما تشكّى من الإعياء والكسَل

فبعضُ نوّاره بالحسن منفتحٌ ∴ والبعض منغلقٌ عنهنّ فى شغلِ

كأنها راحةٌ ضمّتْ أناملها ∴ ممدودةٌ ملئتْ من جودك الخضلِ

وأخْتُها بسطتْ منها أناملها ∴ ترجو نداك كما عودتها فصلِ

وقال أبو عمر أحمد بن دراج القسطلى يصفه فأحسن وأبدع وأغرب واخترع:

إن كان وجه الربيع مبتسماً ∴ فالسوسن المجْتلى ثناياهُ

ياحسنهُ سن ضاحكٍ عبقٍ ∴ بطيب ريّا الحبيب رياهُ

خاف عليه الحسودَ عاشقهُ ∴ فاشتقّ من ضدّه فسماهُ

وهو إذا مغرم تنسمه ∴ خلى على الأنف منه سيماهُ

كما يخلّ الحبيبُ غاليةً ∴ فى عارضىْ إلفهِ لذكراهُ

ويعقب أبو الوليد الحميرى على الأبيات قائلاً : "قوله: خاف عليه الحسود البيت يعنى أنه سماه سوءاً وهو حسن خوف العين والحسد وهو تلميح مستحسن"(٢١).

يتضح من ذلك أن المنصور بن أبى عامر قد يعجب ببعض

الأشياء التى يضمها مجلسه، فيطلب من أحد شعرائه أن يصفها إما إعجاباً بهاء، وإما للمفاضلة بين الشعراء والحكم على شاعريتهم، فهو يطلب هنا وصف السوسن ليكون ذلك مجالاً للتنافس بين الشاعرين وفى النهاية يتفوق ابن دراج ويستحوذ على إعجاب أبى الوليد الحميرى.

وقد تعددت أوصاف الشعراء بين يدى المنصور، وفى ثنايا الوصف يتطرق الشعراء لمدح المنصور ويشيرون إلى ما يضمه مجلسه من ندامى وكؤوس، يقول ابن الجزيرى واصفاً نرجس العامرية فى أول يوم من كانون الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة[٢٢]:

حيّتْكَ ياقمَرَ العُلَى والمجلسِ .:. أزكَى نحيّتَها عيونُ النرجسِ
زهراً تريك بشكلها وبلونها .:. زُهْرَ النجوم الجاريات الكُنّسِ
طلعت مطالعها على مخضرّةٍ .:. من سوقها كُسيت برود السندسِ
فَتَزيّنتْ حُسْناً أتم تزيّنَ .:. وتنفّستْ طيباً ألذّ تنفسِ
وَمَلكْنَ أفئدةَ الندامى كلّما .:. دارت بمجلسهم مدار الأكؤسِ
مِلْكَ الهُمَام العامرى محمدٍ .:. للمكرُمَات وللنُّهى والأنفسِ
لبس الزمانَ وأهله من عَهْدِهِ .:. وفِعَالِه المشكور أكرم ملبسِ
فإذا ذَهَبت إلى الثناء فقِفْهُ من .:. بين الأنام على عُلاهُ واحبسِ

ولم تغب الطبيعة عن أعين الشعراء فى مجالس المنصور،

فمعظم هذه المجالس كانت تعقد فى ظلال الطبيعة الأندلسية الوارفة، وهنا يختلط وصف الطبيعة بمدح المنصور، من ذلك قول الجزيرى واصفاً البنفسج، ومادحاً المنصور(٢٣)

شَهِدتْ لنَوّارِ البنفسجِ ألسنٌ .:. من لوْنه الأحْوى ومن إيناعهِ
بمشابِهِ الشَّعَرِ الأثيث أعَارَه .:. قمرُ الجبينِ الصّلتِ نورشعاعِهِ
ولربما جَفَّ النجيعُ من الطُّلَى .:. بصوارمِ المنصورِ يوم قِراعِهِ
فحاكاه غير مخالفٍ فى لونه .:. لا فى روائحه وطيب طباعِهِ
ملكٌ جهلنا قبلَه سُبلَ العُلا .:. حتى وضَحْنَ بنهجه وشِرَاعِهِ
أما نداه فهو صِنْفٌ للحيا .:. فى صوبه لم أغْنَ فى إقلاعِهِ
فى سيفه قِصَرٌ لطول نِجادِهِ .:. وكمالِ ساعدِهِ وفُسْحَةِ باعِهِ

فالشاعر هنا يحسن التخلص من وصف الطبيعة إلى المدح، ويتخذ من الطبيعة أداة لمديحه، ولم يكن ذلك قاصراً على الجزيرى وإنما كان ديدن الشعراء الأندلسيين عندما يتطرقون لوصف الطبيعة قلما يفردون لها قصائد أو مقطعات خالصة، وقلما تكون الطبيعة غاية فى ذاتها وإنما تكون أداة ووسيلة للمدح والغزل والرثاء والوصف والشكوى، وغير ذلك من موضوعات، حيث تكون مفترشاً لكل هذه الموضوعات ويوظفها الشاعر للتعبير عن أفكاره ومعانيه ومشاعره(٢٤).

ومما قاله صاعد البغدادى فى وصف العامرية بين يدى المنصور(٢٥):

يا أيها الحاجب المعتلي على كيوان ∴ ومن به قد تناهى فخار كل يمان
العامرية أضحت كجنة الرضوان ∴ فريدة لفريد ما بين أهل الزمان
انظر إلى النهر فيها ينساب كالثعبان ∴ والطير يخطب سكراً على ذرا الأغصان
والقضب تلتف شكراً بميس القضبان ∴ والروض يفتر زهواً عن مبسم الأقحوان
والنرجس الغض يرنو بوجنة النعمان ∴ وراحة الريح تمتا رنفحة الريحان
فدم مدى الدهر فيها في غبطة وأمان

ويتجلى هنا عمق الامتزاج بالطبيعة وتشخيصها، فلم تعد الطبيعة في نظر الشاعر مجرد ألوان ونبات وزهر وظواهر كونية، بل أخذت الطبيعة بعداً إنسانياً مشحوناً بالحيوية والعاطفة والإدراك، فالعامرية تلك الجنة الفريدة ينساب نهرها كالثعبان ويخطب طيرها شكراً على ذرا الأغصان.. أما قضبها فيلتف سكراً بميس القضبان، وروضها يفتر زهواً عن مبسم الأقحوان ونرجسها الغض يرنو بوجنة النعمان، وراحة الريح كذلك تمتار نفحة الريحان. فالألفاظ (ينساب - يخطب - شكراً - يلتف -

سكراً – ميس – يفتر – زهواً – مبسم – يرنو – وجنة – راحة – تمتار) مشحونة بالحيوية والإحساس – وهى فى الواقع تعبر عن أحاسيس الشاعر، وتنقل لنا حالته النفسية ومدى انفعاله وإعجابه بهذه المناظر الجميلة التى يضمها مجلس المنصور فى قصر العامرية .

إن الشاعر الأندلسى بعامة لم يحصر رؤيته واهتمامه عند الأوصاف الجزئية للطبيعة فلم يتوقف فقط عند الروض أو النرجس أو الأقحوان أو الريحان، أو الطير أو الأغصان، أو النهر أو الأشجار، وإنما كانت رؤيته شاملة تستوعب المشهد الطبيعى كله ليخرج لنا فى النهاية لوحة كاملة تضم أكثر من صورة.

ويصف أحد شعراء المنصور وهو على بن أحمد مجلساً من مجالسه فيقول[٢٦]:

قم فاسقنى والرياض لابسة ∴ وشياً من النور حاكه القطر
فى مجلس كالسماح لاح به ∴ من وجهه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها ∴ والأرض تندى ثيابها الخضر

إن شرب الخمر كان من أهم الممارسات المعتادة فى مجالس المنصور بن أبى عامر، فذاك أحد المجالس التى يصفها

الشاعر حيث الدعوة إلى الشراب وسط الرياض الندية، وفى مجلس يضم ملكاً يلوح من وجهه البدر، وأشعة الشمس الذهبية تنعكس على الأرض المبتلة بالندى، وقد أزينت بثيابها الخضر.

ولم تكن حضارة الأندلس الزاهرة غائبة عن مجالس المنصور، بل كانت محل إعجاب الشعراء الذين ضمتهم مجالسه، فطفقوا يصورونها فى أشعارهم. فذاك ابن هذيل القرطبى ينطلق فى إعجابه بشخصية المنصور من الإعجاب الشديد بمظاهر العمران والطبيعة بالقصور والمعاهد التى شيدها المنصور، فعندما يرى الشاعر مبانى الزاهرة وبساتينها الساحرة يبهر بجمال هذه القصور ودقة إتقانها ولأن مجالس المنصور لا تعقد إلا فى رحاب تلك القصور وهاتيك الرياض، فإن ابن هذيل يرسم لسنا لوحات فنية رائعة ومعبرة . يحشد فيها من الأدوات الفنية والصور الجزئية ما يجعلها تؤثر فينا فنشارك الشاعر الإعجاب بها.

وعندما يصف الشاعر تلك القصور فإنه يلح على إظهار روعتها من خلال الوقوف عند الجزئيات، فنراه يتحدث مثلاً عن أبوابها وأسقفها وأعمدتها وصهاريجها، ونوافيرها، وشلالاتها، فتلك المشاهد البهية تبهر الرائى فلا يملك أمام روعتها إلا الخشوع والإجلال والإكبار، وعندما يقدم الشاعر هذه اللوحة لا

ينس أنها من فعل المنصور، فنراه يربط بين سعة الصهاريج التى تشبه البحار، وجود الممدوح، يقول[٢٧]:

كأن الصهاريج التى من أمامها ∴ بحار ولكن جود كفّيْكَ أوسعُ
كأن الأسودَ العامريةَ فوْقَها ∴ تهمُّ بمكروه إليك فتفزعُ
كأن خرير الماء من لهواتها ∴ تبدُّدُ دُرٍّ ذابَ لوْ يتجمّعُ
أُعِدّتْ لإحياء البساتين كُلّما ∴ سقتْ موضعاً منها تأكد موضعُ
دعتها بصوْبِ الماءِ فانتبهتْ له ∴ عيونٌ كأمثال الدنانير تلمعُ
فلمّا نشا النوار فيها ظننْتُها ∴ قِبَابكَ يا منصورُ حين ترفعُ

وفى معرض إنبهاره وإعجابه بالناعورتين فى قصر الزاهرة لا يخفى الشاعر إعجابه بكرم المنصور وعطائه ورسوخه وهيبته، يقول[٢٨]:

وأنت ابتدعت لناعورتين ∴ بدائع أعييت فما توصفُ
هما ضَرّتان كمثّل يديك ∴ إذا جَادتَا والحيا مُغْدِفُ
كأنهما طلّعَتَا مزْنتين ∴ تكذُّهُما شَمْألٌ حرجَفُ
كأنهما مَنْكِبَا أيّذْبُلٍ ∴ ولكنّ يذبُلَ لا يذْلِفُ
كأنهما هَيْبةٌ فى العيوٍ ∴ نِ منْكَ فتُغضِى ولا تطرَفُ

هكذا كان وصف الطبيعة ميداناً واسعاً فى مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية، كانت منبعاً ثراً أمام الشعراء لالتقاط الصور والتشبيهات المبتكرة، متوسلين بخيالهم المحلق،

وأضحت الطبيعة كذلك مصدراً للاستلهام والاستيحاء وأداة للتعبير حيث أنبثت ألفاظها، وتسربت تعبيراتها وألوانها إلى كل الأغراض الشعرية الأخرى من مدح وغزل ورثاء "بحيث لا تجد غرضاً شعرياً إلا وفيه تعبير أو تشبيه أو صورة مستقاة من معين الطبيعة أو مستخلصة من معدنها أو متأثرة بمظاهرها"(٢٩).

ثالثاً: الفكاهة والتسلية والمرح

كثيراً من مجالس المنصور عقدت بهدف التسلية والمرح وإشاعة روح الفكاهة والطرب، من أجل ذلك اتجهت بعض الأشعار التى صدرت عن هذه المجالس نحو تحقيق هذه الغاية، ولم تقتصر فقط على الموضوعين الكبيرين اللذين استوعبا معظم تلك الأشعار وهما المدح والوصف.

من هذه الأشعار التى اتجهت نحو الفكاهة والتسلية والمرح ما أورده ابن بسام فى الذخيرة، يقول: "وكان صاعد كثيراً ما يمدح بلاد المشرق بمجلس المنصور، ويباهى بأخبارها، ووصف أشربتها وأديارها، فكتب الوزير أبومروان عبدالملك بن شهيد إلى المنصور فى يوم قر بهذه الأبيات:

أمــا ترى بردَ يومنا هذا ∴ صيَّرنا للكُمُون أفذاذا

قد فطرتْ صحةُ الكبود به .:. حتى لكادت تعودُ أفلاذا
فادعُ بنا للشمول مُصطلياً .:. نُغذَّ سيراً إليك إغذاذا
وادعُ المسمَّى بها[30] وصاحبه .:. تدعُ نبيلاً وتدعُ أستاذا
لو عُبدا أو غريضَه لحقا .:. لكان عن ذا وذاك أخّاذا
ولا تبال أبا العلاء زها .:. بخمر قُطْرُبل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا .:. من دَيْر عَمّا وطيزناباذا[31]

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الإنفراد بالعيال، فأمر بإحضار الأصحاب، وأحضر الوزير أبا مروان، وأخذوا فى شأنهم، فمر لهم يوم من الطيب لم يشهد، وألونة من اللهو لم تعهد، وطما الأمر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا[32]، ودار الدور، ثم انتهى إلى الوزير ابن شهيد، وكان لا يطيق القيام لنقرس كان يلازمه. فأقامه الوزير أبوعبد الله بن عياش، فارتجل الشيخ أبياتا جعل يقود بها وينشد:

هَاكَ شيخٌ قَادهُ عذْرٌ لكا .:. قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا .:. فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه من هزها معتدلاً .:. نِقْرِسٌ أنحى عليه فاتكا
طَرِبَ اللهْوُ وقد حُقّ له .:. طربا أرمضه حتى اشتكى
من وزيرٍ فيهمُ رقّاصةٍ .:. قام سن طيب يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعرفنى .:. قمت إجلالاً على رأسى لكا
قهقه الإبريقُ منى ضَحِكا .:. ورأى رِعْشَةَ رجلى فبكى

وكان أيضاً فى أصحاب ابن شهيد رجل بغدادى يعرف بالكك، له نوادر تضحك، فحضر معه فى بعض مجلس الأنس، وقد ألح عليه وجع النقرس فجعل يصلى الصلوات كلما حانت واحدة بعد أخرى جالساً، وكان عنده ذلك اليوم أحد أصحاب المنصور ممن يعز عليه ويكرم لديه، فلما حمى الوطيس، وأنس الجليس، وطاب المجلس، ودارت الأكؤس، ونسيت أوجاع النقرس، وقام ذلك الصاحب الجليس يرقص، ودار الدور حتى انتهى إلى ابن شهيد، فقام يرقص معتمداً على عادته، فقال له البغدادى: لله درك ياوزير ! تصلى بالقاعدة وترقص بالقائمة ! فطاب المجلس بهذا الكلام، وتم حسنه أكمل تمام، وخلع ابن شهيد على الكك، وانتهى الخبر إلى المنصور، فذهب به كل مذهب الضحك"(٣٣).

إن تلك الأشعار التى قالها ابن شهيد فى أحد مجالس المنصور التى تضم العلماء والشعراء والوزراء والندماء كانت بهدف التسلية والمرح والطرب والفكاهة، فالمنصور يريد أن يخرج من الجد إلى الهزل من جو السياسة والحكم إلى جو البساطة والمرح، ومن حقه أن يراوح بين هذا وذاك، فيأمر بإحضار الأصحاب ومنهم الوزير أبو مروان بن شهيد، وهنا تتوافر دواع اللهو والطرب، فيعم الأنس وتدور الكؤوس وتذهب الخمر بالرؤوس

ويتصايح القوم ويتراقصون، وتأخذهم النشوة ويستفزهم الطرب، وينسى ابن شهيد أوجاع المرض، ولا يملك نفسه ويتراقص مع القوم، فيعبر عن أنسه ويعتذر عن رقصه ويترنم بهاتيك الأبيات، ويتعجب الحضور من فعلة ابن شهيد ورقصه قائماً وكان يصلى قاعداً، ويطيب المجلس ويعم الأنس، ويضحك المنصور.

ويعقب د. بدير متولى حميد على ما صدر من ابن شهيد فى هذا المجلس قائلاً : "كان الوزير مريضاً، وكان الملك موجوداً، والقوم يريدون أن يطربوا ويمرحوا، فيلحون على ابن شهيد أن يشاركهم سرورهم فيرقص، ويعتذر ابن شهيد، ولكن عذره لم يقبل، وترينا تلك الصورة ما كان يدور بالمجالس من سرور وتسلية وفكاهة، ويحدثنا عن ذلك" ابن أفكل البغدادى"، وقد حضر المجلس، وكان حسن النادرة سريعها، ورأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذى يمنع من الحركة فقال لله درك يا وزير، ترقص، بالقائمة، وتصلى بالقاعدة، فضحك المنصور والحاضرون"[٢٤].

إن جو البهجة والمرح الذى سعى إليه الأندلسيون وحققته مجالس المنصور وغيرها من مجالس الأدب، كان هروباً من ذلك الشعور الدائم بالقلق وعدم الاستقرار بسبب كثرة الحروب والصراعات، ولذلك كان الأندلسيون "يبادرون باللذات خشية أن

يفجأهم الدهر بالمصائب، ولعل من أسباب ذلك الخوف كثرة الحروب بينهم وبين الأسبانيين، وكانوا يعتقدون، وهم يقصدون تلك المجالس، ويشربون فيها الخمر أنها تهزم الهم وجيوشه، ومن أجل ذلك شربوها، ودعوا إلى شربها؛[٣٥].

ومما يدل على ذلك ما نسب إلى ذى الرياستين عبدالملك بن هذيل بن رزين من قوله[٣٦]:

أدرها مداماً كالغزالة مزة .·. تبين لرائيها وتأبى على اللمس
وتبدو إلى الأبصار دون تجسم .·. على أنها تخفى على الذهن والحس
موكلة بالهم تهزم جيشه .·. بجيش الأمانى والمسرة والأنس
فإن شئت قل فيها أرق من الهوى .·. وإن شئت قل فيها أرق من النفس

فابن هذيل شاعر المنصور ووزيره يدعو إلى شرب الخمر، ويصفها ويشير إلى ما تفعله بالهموم، وما تجلبه من الأمانى والمسرة والأنس، ولايخفى ما تنطوى عليه الأبيات من براعة فى الوصف والتصوير، تدل على براعة الأندلسيين فى وصف الخمر، فقد صوروها تصويراً دقيقاً بارعاً، لا يقل بحال عن وصف المشارقة لها.

وثمة روايات كثيرة تؤكد حرص المنصور نفسه على سماع الغناء وإشاعة البهجة والانبساط فى مجالسه، من هذه الروايات ما أورده ابن بسام فى الذخيرة، يقول[٣٧]: "ودخل صاعد يوماً

على المنصـور فلمـا وصل إليـه، وجـد عـوداً بين يديه، فـقـال له المنصور: قد تواتر الخبر، وتحدث عنك البشر، أنك فرد فى علم الموسيقى، وقد أردت غير مرة الانبساط معك سراً فى ذلك، فشق الأمـر على صـاعد هنالك، ولم يجد من مـحـيد عن أخـذ العـود، فـتناوله وجس أوتاره وسـوى تسـوية أطربت ابن أبى عـامـر، ثم اندفع يُنشد بيتى مجنون بنى عامر:

أبى القلب إلا حبها عامريّة ∴ لها كُنيةُ عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تَنْدَى إذا ما لمستُها ∴ وَيَنْبتُ فى أطرافها الورقُ الخضرُ

هكذا كان المنصور بن أبى عامر كغيره من ملوك الأندلس ورجالها مولعاً بسماع الغناد مؤثراً له على جميع لذاته الأخرى، وكـانت مـجـالس الأدب فى الأندلس بعـامـة تغص باللهو والطرب والرقص والغناء، وثمة نساءً أندلسيات اشتهرن بحسن الصوت وبرعن فى الموسـيقى والرقص والغناء، وقد غصت بهن مـجـالس الملوك والأمراء، ولم يكن الغناء خاصـاً بالنساء دون الرجال، بل "كان بين المغنين كثير من كبار القوم، مثل عبدالوهاب بن حسين الحاجب الذى كان وحيد دهره فى الغناء الرائق، والأدب الرائع، والشـعـر الرقـيق، واللفظ الأنيق، ورقـة الطبـع، وإصـابة النادرة، والتشبيه المصيب، وكان قد قطع عمره، وأفنى دهره فى اللهو والطرب، وهو أعلم الناس بضرب العود"[٣٨].

تلك أبرز موضوعات الشعر التى قالها الشعراء الأندلسيون فى مجالس المنصور بن أبى عامر وبين يديه، وثمة موضوعات أخرى قيلت فى بلاطه وعند انتصاراته، أو عند الاعتذار وطلب العفو والصفح منه أو فى مناسبات أخرى مختلفة، وأراها تخرج عن موضوعنا، فقد اقتصرت هنا على تلك الأشعار التى ارتبطت بمجالس المنصور الأدبية، وقيلت بين يديه وفى حضرته، ولها سمات فنية خاصة.

السمات الخاصة :

يتسم الشعر الذى قيل فى مجالس المنصور بن أبى عامر بعدد من السمات الخاصة، أجملها فيما يلى :

أولاً: لما كان الداعى إلى تلك المجالس هو الملك المنصور، فقد وجد المديح فيها لنفسه مكاناً، وانصرف معظم الشعر نحو المدح والوصف، والفكاهة والتسلية والمرح.

ثانياً: يقال هذا الشعر على البديهة، ويغلب عليه الارتجال، والابتكار، حيث يتبارى الشعراء فى وصف تلك المجالس وصاحبها وأدواتها والأشياء الموجودة فيها وبيئتها وما يدور فيها من أنشطة وممارسات وعادات، فتتجلى ملكة الإبداع فى نفوسهم، وقد يُطلب من الشاعر وصف

المجلس والإتيان بالعجائب والغرائب فى ذلك، فيقدح الشاعر قريحته، ويتوسل بموهبته، وينظم على البديهة، وقد أشار بن بسام إلى ذلك فى قوله: "والبديه والارتجال فى هذه الأشعار الأندلسية، وإن لم تلحق بالأشعار المشرقية"(٣٩).

ثالثاً: نظراً لكون هذا الشعر ينشد على البديهة، فقد اتسم بقلة القصائد الطوال، وكثرة المقطعات التى ترتبط بالمناسبة التى قيلت فيها.

رابعاً: يعبر هذا الشعر فى جانب كبير منه عن وجهة نظر صاحبه وينطلق من الوجدان، ويعبر عن الهموم الخاصة، فهو شعر ذاتى مشحون بالشكوى يتضح ذلك بجلاء فى قصيدة ابن دراج الهائية التى وقفنا عندها سابقاً(٤٠) وهى تفيض بالشكوى المفعمة بالألم والأنين، حيث موقف الوداع للزوجة والأبناء وتصوير عاطفة الأبوة، والشكوى من جفاء الأقربين، لذلك اتسم هذا الشعر بالتركيز العاطفى والتعبير الفنى.

خامساً: كانت مجالس المنصور ميداناً للتنافس بين الشعراء لإظهار الموهبة، والمهارة الشعرية بين يديه، كذلك حرص

الشعراء على تجويد أشعارهم متوسلين بكل الأدوات الفنية المتاحة، فجاءت ألفاظها وعباراتها سهلة واضحة، ومعانيها طريفة، وصورها جديدة مبتكرة ونظراً لكونها تنشد أحياناً مصاحبة للموسيقى والرقص والغناء، فقد جاءت أوزانها قصيرة خفيفة راقصة، تبتعد إجمالاً عن الأوزان التقليدية الطويلة، كل ذلك بهدف التأثير فى نفس المنصور بن أبى عامر، ونيل إعجابه.

سادساً: ترددت فى هذه الأشعار ألفاظ الطبيعة والخمر، وألحت على الشعراء كثيراً، ويرجع ذلك لكون هذه المجالس التى تنشد فيها تلك الأشعار تعقد غالباً فى رحاب الطبيعة، حيث وفرة المشاهد البهيجة التى تثير الوجدان وتحرك الشعور وأكثر تلك المجالس يكون فى الليل ويستمر حتى الصباح، حيث تدور الخمر ويحلو الطرب، وحينئذ يتبارى الشعراء فى وصف الطبيعة والخمر وساقيها.

سابعاً: لقد كانت هذه الأشعار – فى جانب منها – مظهراً من مظاهر الحياة الأندلسية المترفة، وما شاع فيها من مرح وطرب ومجون، وكانت فى جانب آخر – وصفاً لمظاهر الحضارة الأندلسية الزاهرة، كانت تلك المجالس وما

أنشد فيها من أشعار مظهراً من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية فى الأندلس، أثرت الشعر وحببته إلى النفوس بما شاع فيها من وسائل الترفيه والطرب والفكاهة، وكانت مصدراً من مصادر الإلهام عند الشعراء، حيث حملتهم على الارتجال والابتكار، وعن طريقها برع أهل الأندلس فى فنون الشعر.

هكذا اتسمت تلك الأشعار إجمالاً - بالرقة والعذوبة، والرشاقة، والدقة فى التصوير، والتأنق فى الصياغة والبراعة فى الأسلوب، والعذوبة فى النغم.

مراجع الفصل الثالث

(١) د. سعد إسماعيل شلبى، البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر، ص ٤٣١، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

(٢) نفسه، ص ٤٣٤.

(٣) نفسه، ص ٤٣٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع. المجلد الأول، ص ١٨.

(٥) الوعل.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٣٥.

(٧) نفسه، ق ٤، م١، ص ٣٥.

(٨) انظر، مقدمة ديوان ابن دراج، ص ٣٨.

(٩) الديوان، ص ١١.

(١٠) نفسه، ص ٣٧.

(١١) نفسه، ص ١١-١٢.

(١٢) انظر: الصورة الفنية فى شعر ابن دراج القسطلى، ص ٤٠٤، د. أشرف على دعدور، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د.ت.

(١٣) الديوان، ص ٣٠٨.

(١٤) التناص هو تلك العلاقات التى تنشأ بين نص أدبى وغيره من النصوص، انظر: فاطمة قنديل ، التناص فى شعر السبعينات ، ص ٢٩ ، سلسلة كتابات نقدية (العدد ٨٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، مارس ١٩٩٩م.

(١٥) الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص ١٧٩ تحقيق محمد على شوايكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، بيروت لبنان.

(١٦) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٤٦، وانظر: شعر أبى مروان الجزيرى الأندلسى، ص ١٧٠ جمع وتحقق د. أحمد عبدالقادر صلاحية، دار المكتبى، دمشق، سورية، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

(١٧) د. بدير متولى حميد، قضايا أندلسية، ص ١٠ .

(١٨) شعر أبى مروان الجزيرى الأندلسى، ص ١٧٠، جمع وتحقيق د. أحمد عبدالقادر صلاحية، دار المكتبى، دمشق سوريا، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

(١٩) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ١٧.

(٢٠) نفسه، ص ١٧.

(٢١) أبوالوليد الحميرى، البديع فى وصف الربيع، تحقيق الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ص ١٣٥-١٣٦، دار المدنى، جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

(٢٢) نفسه، ص ١٢٠، وانظر ك الأبيات شعر أبى مروان الجزيرى الأندلسى، ص ١٦٦، جمع وتحقيق د. أحمد عبدالقادر صلاحية.

(٢٣) نفسه، ص ٨٢، وانظر الأبيات فى : شعر أبى مروان الجزيرى الأندلس، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢٤) قصر من أروع القصور وأبهاها أنشأه المنصور إلى جانب الزهراء كان يتردد عليه أحياناً للراحة والاستجمام.

(٢٥) انظر: عبدالواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٧٧، تحقيق محمد سعيد العريان.

(٢٦) نفح الطيب، ٥/٣٢٠.

(٢٧) شعر يحيى بن هذيل القرطبى الأندلسى، تحقيق د. محمد على الشوايكة، ص ٩٦، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

(٢٨) نفسه، ص ١٠٠.

(٢٩) د. محمد محمد السعيد، الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص ١٢٤، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

(٣٠) الضمير هنا عائد إلى "الشمول" يريد أدع من سمى بهذا الاسم، وهو مغن مشهور اسمه "شمول".

(٣١) ذكر محقق كتاب الذخيرة د. إحسان عباس أن أرملاط (Guadimellato) يتردد ذكرها فى عدة مواطن من البيان المغرب، ولم يذكر دير عمى عند ياقوت والبكرى والشابشتى والروض المعطار، وذكر ياقوت دير عمان (ومعناه دير الجماعة) بنواحى حلب، والتسمية مشبهة أيضاً لدير عمى، فإن كان فى الاسم تحريف فلعله "ديرقنى"، وطيزناباذ : منزلة للهو بين الكوفة والقادسية يتردد ذكرها فى شعر أبى نواس مع قطربل وكلواذى.

(٣٢) التزافن: الرقص.

(٣٣) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٣٤) قضايا أندلسية، ص ١٠٩ .

(٣٥) نفسه، ص ٩٦.

(٣٦) الحلة السيراء، الجزء الأول، ص ١٨٤، تحقيق د. حسين مؤنس.

(٣٧) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٣٠-٣١.

(٣٨) د. أحمد ضيف، بلاغة العرب فى الأندلس، ص ٨٥، الطبعة الثانية (١٣٥٦هـ-١٩٣٨م) مطبعة الاعتماد، القاهرة.

(٣٩) الذخيرة، ق ٤، م١، ص ٤٤.

(٤٠) انظر البحث، ص

الفصل الرابع
النقد الأدبى فى مجالس المنصور بن أبى عامر

أولاً: النقد فى المجالس الأدبية فى الأندلس.

ثانياً : قضايا النقد الأدبى فى مجالس المنصور.

- *الشعر المنظوم والمحفوظ.*
- *الصدق والكذب.*
- *البديهة والارتجال.*
- *السرقات الشعرية .*
- *المعارضات.*
- *الألفاظ والمعانى.*



الفصل الرابع
النقد الأدبى فى مجالس المنصور بن أبى عامر

أولاً: النقد فى المجالس الأدبية فى الأندلس:

لقد صارت مجالس الأدب ميداناً للمطارحات الأدبية والنظرات النقدية، وأضحى شعر المجالس مظهراً للترف الثقافى والدعابات الأدبية، يتلهى به الشعراء، ويتباهون بالإجادة فيه "وكثيراً ما كان الشعراء يبيتون وهم يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون أخبار الآداب، أو يدعون إخوانهم إلى إحدى المنازه ثم يتدارسون الشعر، ويذكرون لأحدهم معنى من المعانى فيعارضونه أو يختصرونه"(1).

فتلك المجالس لم تكن كلها صخباً وغناءاً وطرباً بل كان فيها "الاحتفال المقصود بالأدب، والاهتمام الجاد بالشعر"(2).

كانت المجالس الأدبية، والثقافية بعامة عاملاً مهماً من عوامل تطوير الحركة النقدية والأدبية فى الأندلس "وكان المشارقة الوافدون على الأندلس فى حضرة الملوك يحاولون إظهار مقدرتهم الأدبية، بإدعاء شعر من برز فيهم، وقد يكون المجلس حكماً نقدياً يتعرض لأصالة النص المنشد، فيبين الموضوع والمنسوب، ويؤكد الأصيل الحقيقى"(3).

إن ما يصدر عن هذه المجالس من أحكام يؤكد نضج النقد

الذوقى التأثرى "الذى لا يخلو فى بعض الأحيان، من منهجية وإن لم تكن من الوضوح بحيث يستطيع الباحث أن يحدد أبعادها الموضوعية"(٤).

لقد كانت تلك الأحكام أساساً للمفاضلة بين الشعراء من خلال عنايتها ببعض القضايا النقدية مثل الاهتمام بدقة اللفظ والمعنى فى الشعر، والصورة الشعرية، والابتكار والتجديد والبديهة والارتجال، والوضع والانتحال والطبع والصنعة والسرقات الشعرية، وفى مجال المفاضلة بين شاعرين أو قصيدتين، لا تقف الأحكام النقدية الصادرة عن تلك المجالس عند "حدود الألفاظ، وحسن تأليفها، فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى ابتكار الشاعر فى المعانى وقدرته على نقلها من معنى إلى آخر، وهذا يعنى أن المقياس المعنوى لا يقل قوة فى تأثيره عن مقياس الألفاظ، سواء أكان ذلك فى المفاضلة بين شاعرين أو قصيدتين لشاعر واحد أو أبيات لمجموعة من الشعراء"(٥).

لقد أسهمت هذه المجالس فى صياغة المفاهيم النقدية لدى الشعراء الأندلسيين فمن خلالها تشكل الحس النقدى لديهم على الرغم من أن معظم الأحكام النقدية التى صدرت كانت انطباعية عامة تعتمد على الذوق، ولا تستند إلى رؤية موضوعية أو منهج واضح.

وقد ينصرف النقد الصادر عن تلك المجالس نحو المجاملة، وإرضاء صاحب المجلس، ويكون النقد حينئذ وسيلة لبلوغ تلك الغاية، بصرف النظر عن الصحة أو الخطأ، والصدق أو الكذب.

كانت المجالس الأدبية مجالاً للتنافس بين الشعراء، وإذا غشى المجلس أحد الشعراء الغرباء، يريد إنشاد شعره أمام الملك أو الخليفة، يكون مستهدفاً ومحسوداً من شعراء المجلس، بيد أن معظم الملوك والخلفاء كانوا مهتمين بالشعر ويقدرون الشعراء أصحاب المواهب الأصيلة، وينزلونهم المكانة التى يستحقونها حتى لو كانوا غرباء وافدين.

وكان المعتضد بن عباد يخصص للشعراء يوماً لسماع شعرهم لا يدخل عليه غيرهم وروى "أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء، فسألوه، فقال: إنى شاعر، فقالوا: أنشدنا من شعرك، فقال:

إنى قصدتُ إليكَ يا عبّادى ∴ قصد القليّق بالجرى للوادى

فضحكو منه وازدروه، فقال بعض عقلائهم : دعوه فإن هذا شاعر، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء، ويندرج فى سلكهم، فلم يبالوا بكلام الرجل، وتنادروا على المذكور، فبقى معهم، وكان لهم فى تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم، وربما كان يوم الاثنين، فقال بعض لبعض: هذه شنعة بنا أن

يكون مثل هذا البادى يقدم علينا، ويجترئ على الدخول معنا، فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم فى اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان، وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم، ويكون ذلك حسماً لعلة إقدام مثله عليهم، فلما كان اليوم المذكور، وقعد السلطان فى مجلسه، ونصب الكرسى لهم، رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم فى ذلك اليوم، فأمر بذلك، فصعد الكرسى، وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم، فقال:

قطعت يا يوم النوى أكبادى ∴ وحرمْتَ عن عينى لذيذَ رُقادى

وتركتنى أرعى الجوم مسهّداً ∴ والنار تضرمُ فى صميم فؤادى

فكأنما آلَى الظلام أليّةً ∴ لا ينْجلى إلا إلى ميعادِ

يا بين بين أيْن تقتادُ النوى ∴ إبلُ الذين تحملوا بسُعادِ

ولربَّ خرقٍ قد قطعْتَ نياطَهُ ∴ والليل يرفُلُ فى ثياب حدادِ

.... ∴ ....

يا أيها الملك المؤمّلُ والذى ∴ قد ما سما شرفاً على الأنداد

إنّ القريضَ لكاسد فى أرضنا ∴ وله هنا سوق بغير كساد

فجلبت من شعرى إليك قوافياً ∴ يفنى الزمان وذكرها متمادى

من شاعر لم يضطلع أدباً ولا ∴ خطت يداه صحيفة بمداد

فقال الملك : أنت ابن جاخ؟ فقال: نعم، فقال : اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء، وأحسن إليه، ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لأحد بعده"[٦].

نستطيع أن نستنبط من هذه الرواية بعض الدلالات المهمة منها: أن مجالس الأدب فى الأندلس كانت مقصد الشعراء الكبار من المشرق والأندلس على السواء يغدون إليها ويرتجلون من الأشعار ما يعجب الملوك والخلفاء، وأن شعراء المجالس يتنافسون فى التقرب إليهم، ويحاولون التخلص من الغريب الطارئ عليهم عن طريق الدسائس والمؤامرات، وأن هؤلاء الوافدين يفرضون أنفسهم، ويحظون بالإكبار والتقدير عن طريق مواهبهم الأصيلة وإجادتهم فى قول الشعر.

أيضاً إن قول الشعر عن طريق البديهة والارتجال يعد من علامات الإجادة والتفوق وهذا مما أعجب به المعتضد بن عباد فى مجلسه من قول ابن جاخ الشاعر.

لقد تميز ابن جاخ بالفطنة والذكاء حينما بدأ قصيدته بين يدى المعتضد بالغزل وهو من الموضوعات المحببة إلى النفوس، وقد التزم الشاعر بمارسمه حازم القرطاجنى للشعراء فى معالجتهم الأغراض الشعرية، حيث اشترط فى الغزل أن تكون ألفاظه "مستعذبة ومعانيه حلوة لطيفة بحيث يكون سهلاً غير

متوعر، وينبغي أن يكون مقدار التغزل قبل المدح قصداً لا قصيراً مخلاً، ولا طويلاً مملاً[٧].

لقد التزم الشاعر بذلك واستطاع فى براعة فائقة وحسن تخلص أن ينتقل من الغزل إلى المديح فيبدع ويطرب ويقحم الحضور وينال الإعجاب والثناء من المعتضد، فيوليه رئاسة الشعراء، ويحسن إليه، ولم يأذن لأحد بعده فى الكلام.

ويوضح لنا ذلك أن المعايير النقدية التى على أساسها يقبل الشعر أو يرد فى تلك المجالس إنما ترتبط أولاً بحسن اختيار الموضوعات المحببة إلى نفوس الحكام مثل الغزل والمديح، وحسن التخلص والانتقال من موضوع إلى موضوع وثانياً: قول الشعر على البديهة والارتجال، وثالثاً: الدقة فى اختيار الألفاظ المستعذبة السهلة المناسبة والمعانى الحلوة اللطيفة، والبعد عن الغرابة والوعورة، ورابعاً: عدم الإغراق فى الخيال والإتيان بالصور القريبة المألوفة المستمدة من التراث، وأخيراً: أن يكون التغزل قبل المدح قصداً "لا قصيراً مخلاً، ولا طويلاً مملاً".

وتعد مجالس المعتمد بن عباد من المجالس الأدبية التى كان لها دور بارز فى تشكيل المفاهيم النقدية عند كثير من الشعراء من مرتادى تلك المجالس، وكانت البديهة والارتجال مما يستحسن فى هذه الأشعار، ومن الطريف أن المعتمد بن عباد

أعجب باعتماد الرميكية وطلب زواجها بسبب استحسانه سرعة بديهتها، واعتماد إحدى النساء المشهورات فى الأندلس، وهى جارية المعتمد، وأم أولاده، واشتهرت بالرميكية، وقد روى أن المعتمد ركب فى النهر ومعه ابن عمار وزيره، "وقد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار:

أجز :

صنع الريح من الماء زَرَدْ

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:

أى درعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هى صورة حسنة، فأعجبته، فسألها: أذات زوج هى؟ فقال : لا، فتزوجها، وولدت له أولاده الملوك النجباء، رحمهم الله تعالى"(٨).

يتضح من ذلك أن المرأة الأندلسية كانت مثقفة وشاعرة تخالط الرجال وتشاركهم مجالسهم ونزهاتهم، وكانت أيضاً قادرة على قول الشعر بديهة وارتجالاً ولها دور فاعل فى صياغة الحياة الأدبية والاجتماعية فى الأندلس فضلاً عن كونها معلماً من معالم الجمال فى الأندلس واستطاعت عن طريق ذلك أن تشق طريقها فى عقول الرجال وقلوبهم، بل وتحرك قرائحهم لقول الشعر والتغزل بها، وتصوير جمالها ومفاتنها.

وثمة نشاط نقدى آخر صدر عن مجلس آخر من مجالس المعتمد وكانت كثيرة فى إشبيلية حاضرة بنى عباد، انصرف هذا النشاط النقدى نحو الإجادة فى اللفظ والمعنى، فقد ورد فى "قلائد العقيان" للفتح بن خاقان أن ابن عمار شاعر المعتمد ووزيره كتب إلى المعتمد قصيدة، يطلب فيها عفوه ويرجو سماحه أثناء اعتقاله فى إشبيلية، يقول فى مطلعها:

سَجَاياكَ إن عافيتَ أندى وأسجَعُ ∴ وعذرُكَ إن عاقبْتَ أجلى وأوضَحُ

ويقول فيها أيضاً :

وإن رجائى أن عندك غير ما ∴ يخوض عدوّى اليوم فيه ويمرحُ

ولِمْ لا وقد أسلفْتُ ودّاً وخِدْمَةً ∴ يكُرّان فى لَيْل الخطوب فيصبحُ

ويقول آخرها:

وبين ضلوعى من هواه تميمةٌ ∴ ستنفعُ لو أنّ الحِمام يجلّحُ

ولما وصل إلى المعتمد هذا القصيد، جعل من بحضرته من أعداء ابن عمار ينتقدونه ويطلبون به عيباً لو يجدونه، حتى انتهى بهم النقد إلى قوله : "وبين ضلوعى من هواه تميمة" البيت، فجعلوا يقولون: أى معنى أراد ؟ ما قال شيئاً، ولا كاد ! قال لهم المعتمد: مهما سلبه الله المروءة والوفاء، فما سلبه الفطنة والذكاء، إنما اقتبس - قلب - بيت الهذلى، فأحسن ما أراد:

وإذا المنيّةُ أنْشَبَتْ أظفارها ∴ ألفيت كل تميمة لا تنفع

فسكت القوم فى ناديهم، وسقط فى أيديهم، غير أن أبا سالم العراقى، جعل يتمضغ بقوله : "يكران فى ليل الخطوب"، ويقول : "ما معناه؟ وهلا أبدل بهذا اللفظ سواه ؟ " فقال له المعتمد: فأنت أبا سالم، أزله وإن استطعت بفضلك فأبدله ! فأحجم بها وتلعثم، ولم يتأخر ولا تقدم"(٩).

يتجه مجلس المعتمد نحو النقد التطبيقى الذى يجابه النص الشعرى مباشرة، ويحكم عليه، وقد جمع المجلس عدداً من الأدباء الذين يناصبون ابن عمار العداء، ويتربصون به ويتلمسون له الأخطاء لينالوا من شاعريته بسبب مكانته لدى المعتمد قبل أن تحدث الجفوة بينهما وينطلق هؤلاء فى أحكامهم النقدية من بغضهم للشاعر، لذلك اتسموا بالشطط وابتعدوا عن الموضوعية والحيدة، وافتقدوا الثقافة اللازمة، وتلك أهم مؤهلات الناقد الأدبى. أما المعتمد فقد تجلت قدرته على النقد وامتلك كل أدوات الناقد ومؤهلاته، وتعامل مع النص الشعرى بمعزل عن شخصية صاحبه.

إن هذا النص يشير إلى المنهج الموضوعى الذى التزمه المعتمد فى نقد الشعر، فهو يحكم لابن عمار بالإجادة والإحسان على الرغم مما بينهما من العداوة والبغضاء، وهذا المنهج الموضوعى الذى ابتعد فيه ابن عباد عن الهوى، يتفق مع المنهج

الذى رسمه القاضى الجرجانى أمام الناقد النزيه كى يكون موضوعياً فى حكمه، حينما قال: "... ولكن الذى أطالبك به وألزمك إياه ألا تستعجل بالسيئة قبل الحسنة ولا تقدم السخط على الرحمة، وإن فعلت فلا تهمل الإنصاف جملة، وتخرج عن العدل صفراً"(١٠).

وأرى أن المعتمد تأثر بالقاضى الجرجانى فى مذهبه النقدى خاصة أن كتب النقد المشرقية كانت شائعة فى الأندلس، وفى متناول الأيدى، وقد تجلت ثقافته المشرقية وتمكنه من التراث، فى ربطه بين قول ابن عمار (وبين ضلوعى من هواه تميمة) البيت، وقول أبى ذؤيب الهذلى (وإذا المنية أنشبت أظفارها)، البيت، وأن ابن عمار اقتبس معنى بيته من قول الهذلى الشاعر الجاهلى ؛ أما القضية النقدية التى دار حولها مجلس المعتمدين عباد، فهى قضية اللفظ والمعنى، وهى من القضايا المحورية التى نالت قسطاً كبيراً من اهتمام النقاد فى المشرق والأندلس على السواء، وقد كشف هذا المجلس أيضاً عن حرص المعتمد على تشجيع الشعراء على النقد، وهو العليم بضروبه.

وهكذا كان المعتمد بن عباد دقيقاً فى نقده، لا يجيز إلا الجيد من الشعر، وكان المجيد من الشعراء يظفر منه بالقبول

ويحظى بالكرم الواسع، فاستغل الشعراء هذه الفرصة واتخذوا من جودة الشعر ومعرفة النقد وسيلة لنيل رضى المعتمد، والتقرب إليه، حتى قيل : إنه لم يجتمع الأدباء والشعراء عند حاكم، كما اجتمعوا عند المعتمد بن عباد.

وقد جعلت براعة المعتمد فى النقد بعض الشعراء ويتحاشون مجلسه، فلا يفد إليه إلا كبار الشعراء المشهورين، مثل ابن عمار وابن زيدون، وابن اللبابة الدانى، وابن حمديس الصقلى.

تلك إذاً نماذج من مجالس الأدب فى الأندلس أثرت فى مسيرة النقد الأدبى وساعدت فى تشكيل المفهوم النقدى لدى الشعراء النقاد من خلال ما دار فيها من ممارسات نقدية تطبيقية، وكانت ميداناً للإبداع الشعرى، والمفاضلة بين الشعراء.

ثانياً: قضايا النقد الأدبى فى مجالس المنصور:

كانت مجالس المنصور بن أبى عامر الأدبية مقصد الشعراء والكتاب يغشونها طلباً للشهرة والمجد، ورغبة فى الالتحاق بديوان "الندماء"، الذى أنشأه المنصور ضمن دواوين دولته تشجيعاً للشعراء وعين عبدالله بن مسلمة رئيساً له . وكان هذا الديوان دعامة أساسية أسهمت فى ازدهار الأدب والنقد زمن الدولة العامرية .

● الشعر المنظوم والمحفوظ:

كان المنصور فى مجالسه يعجب بالشعر المنظوم المرتجل، ولا يحفل كثيراً بالشعر المحفوظ الذى يتمثل به، فهو يعفو عن الشاعر يفد إليه إذا أنشده من شعره فأجاد، وعبر بصدق عن حاجته وحالته النفسية ومعاناته، يدل على ذلك ما أورده صاحب "النفح" من أنه "كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر فتى من أهل الأدب قد رقت حاله فى الطلب، فتعلق بكتاب العمل، واختلف إلى الخزانة مدة، حتى قلد بعض الأعمال، فاستهلك كثيراً من المال، فلما ضم إلى الحساب أبرز عليه ثلاثة آلاف دينار، فرفع خبره إلى المنصور، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه ولزم الإقرار بما برز عليه قال له : يا فاسق، ما الذى جرأك على مال السلطان تنتهبه؟ فقال: قضاء غلب الرأى، وفقر أفسد الأمانة، فقال المنصور: والله لأجعلنك نكالاً لغيرك، ليحضر كبل وحداد، فأحضرا، فكبل الفتى، وقال: احملوه إلى السجن، وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه، فلما قام أنشأ يقول:

أَوّاهُ أَوّاهُ وَكَمْ ذا أَرَى .:. أُكْثِرُ مِنْ تَذْكارِ أَوّاه

ما لامرئٍ حَوْلٌ وَلا قُوَّةٌ .:. الحَوْلُ وَالقُوَّةُ لِلّهِ

فقال المنصور: ردوه، فلما رد قال: أتمثلت أم قلت؟

قال : بل قلت، فقال : حلوا عنه كبله، فلما حل عنه أنشأ يقول:

أمـا ترى عـفـو أبى عـامـرٍ ∴ لابد أن تتـبـعـه مِنّه
كـذلك الله إذا مـا عَـفَـا ∴ عن عَـبْـده أدخلهُ الجنه

فأمر بإطلاقه، وسوغه ذلك المال، وأبرأه من التبعة فيه"[11].

• الصدق والكذب:

يعد الصدق والكذب فى الشعر من المقاييس النقدية المعروفة فى مجالس المنصور بن أبى عامر، يروى أن المنصور قال – فى أحد مجالسه – للشاعر المشهور أبى عمر يوسف الرمادى "كيف حالك معى؟ فقال: فوق قدرى ودون قدرك، فأطرق المنصور كالغضبان، فانسل الرمادى وخرج وقد ندم على ما بدر منه، وجعل يقول: أخطأت، لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق، ما كان ضرنى لو قلت له: إنى بلغت السماء، وتمنطقت بالجوزاء، وأنشدته:

متى يأتِ هذا الموت لا يُلْفِ حاجةً ∴ لنفسىَ إلا قد قَضَيْتُ قضاءها

لا حول ولا قوة إلا بالله – ولما خرج كان فى المجلس من يحسده على مكانه من المنصور، فوجد فرصة فقال: وصل الله لمولانا الظفر والسعد، وإن هذا الصنف صنف زور وهذيان لايشكرون نعمة، ولايرعون إلا ولا ذمة، كلاب من غلب، وأصحاب من أخصب، وأعداء من أجدب، وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم "والشعراء يتبعهم الغاوون – إلى مالا يفعلون" (الشعراء : ٢٢٤)،

والابتعاد منهم أولى من الاقتراب، وقد قيل فيهم : ما ظنك بقوم الصدق يستحسن إلا منهم ؟ فرفع المنصور رأسه، وكان محباً فى أهل الأدب والشعر، وقد اسود وجهه، وظهر فيه الغضب المفرط، ثم قال: ما بال أقوام يشيرون فى شئ لم يستشاروا فيه، ويسيئون الأدب بالحكم فيما لايدرون أيرضى أم يسخط ؟ وأنت أيها المنبعث للشر دون أن يبعث، قد علمنا غرضك فى أهل الأدب والشعر عامة، وحسدك لهم، لأن الناس كما قال القائل:

من رأى الناس له فضلاً .:. عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصة، ولسنا إن شاء الله تعالى نبلغ أحداً غرضه فى أحد، ولو بلغناكم بلغنا فى جانبكم، وإنك ضربت فى حديد بارد، وأخطأت وجه الصواب، فزدت بذلك احتقاراً وصغاراً"[١٢].

يكشف هذا النص عن جانب مهم آخر فى شخصية المنصور هو القدرة على النقد، والمفاضلة بين الأقوال، وتتجلى موضوعيته فى الحكم حتى فى حالة الغضب - رغم شدته المعروفة، فيحمد للشاعر يوسف الرمادى صدقه وتلقائيته فى الإجابة عندما سئل عن حاله مع المنصور.

فالمنصور يؤثر الصدق فى القول عن المراوغة والكذب والتمويه، وقد استطاع بذلك أن يميز بين العدو والصديق وهو

المحب لأهل الأدب والشعر، ويتجلى ذكاء المنصور، وحكمته عندما كظم غيظة وأفسح المجال لهذا الناقد الحاسد كي يأتى بما عنده، فيوجه سهام نقده للرمادى مبتعداً عن الموضوعية التى يجب أن يتحلى بها الناقد، ويكشف المنصور هنا عن أن الأحكام النقدية أحياناً تنبعث من الحسد لأهل الفضل والتميز من الشعراء، يظهر ذلك فى قوله: "قد علمنا غرضك فى أهل الأدب والشعر عامة، وحسدك لهم"، وتتبدى ثقافة المنصور من خلال استشهاده ببيت الشعر، وتلك واحدة من أدوات الناقد وعدته، أن يكون صاحب ثقافة موسوعية، يستطيع من خلالها أن يحكم على النصوص، ويغوص فى أعماقها.

وأرى أن الصدق مطابقة المعنى للواقع، أى تصوير الواقع تصويراً حرفياً، والكذب مخالفة المعنى للواقع، أى تزييف الواقع، وتزويقه، والصدق مقدم على الكذب، هذا فى الأقاويل العادية أى فى غير الشعر، أما فى الشعر، فالأمر مختلف تماماً، فالكذب قد يقدم على الصدق، وهو عند بعض النقاد مقدم على الإطلاق، والصدق فى الشعر نوعان: واقعى وفنى، أما الصدق الواقعى، فهو المطابقة التامة للواقع، وهو يخرج الشعر عن طبيعته التخييلية، والصدق الفنى، هو أن يكون الشاعر صادقاً فى التعبير عما يحسه، وينفعل به، وأن يجئ شعره صورة لما فى

أعماقه من رؤى وأحاسيس وافقت الواقع أو لم توافقه، سايرت المألوف، أو وقفت دونه.

البديهة والارتجال:

تعد القدرة على الارتجال أحد المقاييس النقدية التى يتفاضل الشعراء على أساسها فى مجالس المنصور بن أبى عامر «وكان لجمال طبيعة الأندلس أثر فى نمو وتطور البديهة الشعرية، فى دقة الوصف ورقة الخاطر، إذ تتجلى من خلال تلك القصائد والمقطعات موهبة الشاعر كما تصورها، أقوال المجلس تعليقاً أو تعقيباً، مدحاً أو قدحاً لهذا الشاعر أو ذاك»[١٣]. وكان المنصور يستحسن الشعر المرتجل، ويرى أن الشاعرية الحقة إنما تتفتق من خلاله.

إن الأقوال التى ترددت على لسان المنصور إعجاباً بقدرة صاعد البغدادى على الارتجال تعكس موقفاً نقدياً من هذا الشعر المرتجل ويبدو أن مكانة صاعد لدى المنصور، وتميزه فى هذا الجانب جرت عليه عداوات كثيرة، وكان من أشد أعدائه حنقاً عليه ابن العريف النحوى، وهو أحد الشعراء الذين ضمتهم مجالس المنصور، وكان صاعد لا يتركه فى مجلس من تلك المجالس حتى يرد إليه كيده ويظهر تفوقه عليه فى القدرة على الارتجال، فقد روى أن ابن العريف دخل على المنصور يوماً،

وعنده صاعد فى مجلس بقصر العامرية، فأنشده ابن العريف أبياتاً منها:

فالعامرية تزهى ∴ على جميع المبانى
وأنت فيها كسيف ∴ قد حل فى غمدان

فلم يعجب المنصور بما جاء به ابن العريف، وأظهر له صاعد أن فى استطاعته أن يرتجل خيراً من هذا الشعر الذى أنشده ابن العريف، وتأنى فى نظمه، فأذن له المنصور فقال ارتجالاً[14]:

يا أيها الحاجب المعتلى على كيوان ∴
ومن به قد تناهى ∴ فخار كل يمان

فاستحسن المنصور ارتجاله، وقال لابن العريف: ما لك فائدة فى مناقضة من هذا ارتجاله، فكيف تكون رويته ؟ فقال ابن العريف: إنما أنطقه وقرب عليه المأخذ إحسانك ! فقال له صاعد: فيخرج من هذا أن قلة إحسانه لك أسكتتك وبعدت عليك المأخذ !

فضحك المنصور وقال: غير هذه المنازعة أليق بأدبكما!"[15].

إن مصير الشاعر فى مجالس المنصور، وإلحاقه بديوان الندماء مرهون بحضور بديهته، وقدرته على الارتجال، والابتكار

فى المعانى بهذا يشق طريقه إلى قلب المنصور، ويحظى بالقبول، ويصبح شاعراً رسمياً.

وكان المنصور بن أبى عامر يتخذ من البديهة والارتجال مجالاً للموازنة والمفاضلة بين الشعراء، فقد دخل صاعد على المنصور فى مجلسه فى يوم عيد وعليه ثياب جدد، وخف طرى، فمشى على حاشية الصهريج لازدحام من حضر فزلق وسقط فى الماء، فضحك المنصور وأمر بإخراجه، وكاد البرد يأتى عليه، فلما نظر إليه أمر بخلع ثياب له، وأدنى مجلسه، ثم قال له : يا أبا العلاء هل قلت فى سقطتك شيئاً ؟ فأطرق ثم قال:

شيئان كانا فى الزمان غريبةً ∴ ضَرطُ ابنِ وهْبٍ ثم زلْقَةُ صاعِدِ

فاستبرد ما أتى به ؛ وكان الكاتب أبومروان الجزيرى حاضراً، فقال له: يا أبا العلاء هلا قلت :

سُرورى بغُرّتك المشْرِقَهْ ∴ وديمة راحتك المغْدِقَهْ
ثنانى نشوانَ حتى هَويتُ ∴ فى لُجّةِ البِركةِ المطْبقَهْ
لئنْ ظلّ عبدُك فيها الغريقَ ∴ فجودُكَ من قبلِ ذا أغرقَهْ

فقال له المنصور : لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل العراق ففضلتهم فبمن تقاس بعد ! فأنهض الجزيرى للشرطة"[١٦].

وقد علق ابن بسام على هذا النص قائلاً : "وقد فرق حذاق

النظر بين البديهة والارتجال، فجعلوا الارتجال ما كان على طريق الانهمار والتدفق، لا يتوقف فيه قائله"[17].

ومن بديهة صاعد البغدادى أيضاً بين يدى المنصور ما رواه عبدالواحد المراكشى فى "المعجب" عن وقوع "كتاب الفصوص" فى النهر قال: واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أنا أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر، نهر قرطبه، فخانت الغلام رجله فسقط فى النهر هو والكتاب؛ فقال فى ذلك بعض الشعراء- وهو أبو عبدالله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف - بيتاً مطبوعاً بحضرة المنصور، وهو:

قد غاص فى البحر كتاب الفصوص .:. وهكذا كُلّ ثقيل يغوص!

فضحك المنصور والحاضرين، فلم يرع ذلك صاعداً ولا هاله، وقال مرتجلاً مجيباً لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما .:. توجد فى قعر البحار الفصوص[18]

هكذا وضع المنصور بن أبى عامر فى مجالسه أساساً نقدياً للمفاضلة بين الشعراء والتمييز بينهم يحتكم إلى سرعة البديهة، وحسن الارتجال لدى الشعراء فهما دليل الذكاء والفطنة والشاعرية، وكان ذلك المقياس النقدى هو النواة الأولى التى غرسها المنصور فى الأندلس، وتعهدها من بعده ابن شهيد، وجرت مقياساً لدى أغلب نقاد عصره[19].

• **السرقات الشعرية:**

إن الحديث عن السرقات، هو حديث عن الألفاظ والمعانى، والصور الشعرية، وتناقلها بين الشعراء، وهو أيضاً محاولة نحو تأصيل العمل الفنى وتمحيصه، واكتشاف ما فيه من جدة وابتكار أو تقليد وإتباع.

ويحتاج الناقد كى يحكم على العمل الأدبى بالأصالة والابتكار أو السرقة، والتقليد، أن يكون واسع المعرفة بالأدب وفنونه متمكناً من التراث الأدبى حافظاً لكثير من الأشعار.

وتعد قضية السرقات الشعرية من أهم القضايا التى وقف عندها النقاد العرب فى القديم والحديث على السواء، وقد نظر هولاء النقاد إلى الشعر باعتباره تراثاً جماعياً لا تراثاً فردياً ينتمى إلى أفراد، فهو ليس فقط تراث امرئ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى وذى الرمة، وغيرهم، إنما هو تراث جماعى، ينتمى إلى الأمة بأسرها.

وقد عد الأقدمون الأخذ أو السرقة ضرباً من البراعة الفنية ولوناً من الحذق والمهارة "لايستطيعها كل أديب، وإنما الذى يقتدر عليها هو الحاذق المبرز الذى يستطيع أن يقطع صلة ما سرق بأصله، وبصاحبه، بحيث يبدو أمام القارئ شيئاً جديداً

بعيد الصلة بالقديم، ولذلك تلطف بعض النقاد، فأطلقوا على تلك السرقة البارعة اسم حسن الأخذ"[٢٠].

كانت مجالس المنصور بن أبى عامر فى جانب كبير منها مجالاً للإدعاء والسرقة بين الشعراء، وكانت الأحكام النقدية التى تصدر عن تلك المجالس هى الفيصل بين الأصيل والمدعى من الشعر، وكان الوافدون من الشعراء من أهل المشرق هم أكثر الناس عرضة للاتهام بالاحتيال والتزييف والسرقة، وكان صاعد البغدادى أكثر هؤلاء إتهاماً بالسرقة، والواقع أن المكانة التى تبوأها هذا الأديب وكثرة حساده كانت السبب الرئيس وراء هذا الاتهام.

ومن السرقات التى اتهم بها صاعد ما رواه ابن بسام فى الذخيرة، من أنه "أدخل على المنصور يوماً وردة فى غير أيامها، لم تستتم فتح كمامها، فقال فيها صاعد على الارتجال :

أَتَتْكَ أبا عامرٍ وردةٌ ∴ يذكّركَ المسكُ أنفاسَها
كعَذْراءَ أبصرَها مبصِرٌ ∴ فغطّتْ بأكمامِها راسَها

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضراً، فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال لابن أبى عامر: إن هذين البيتين لغيره، وقد أنشد فيها بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندى على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن

العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن أهل وقته بديهة، فوصف له ما جرى فقال:

عشَوْتَ إلى قصر عبَّاسَةٍ ∴ وقد جَدَّلَ النومُ حُرَّاسَهَا
فَألفَيْتَهَا وهىَ فى خِدْرِها ∴ وقد صرعَ السّكرُ أناسها
فقالت: أسارٍ على هَجْعَةٍ؟ ∴ فقلتُ: بلَى، فرَمَتْ كاسَها
ومَدّتْ يديْهَا إلى وَرْدةٍ ∴ يُحاكى لك الطيبُ أنفاسَها
كعذراء أبصرها مُبْصِرٌ ∴ فغطتْ بأكمامِها راسها
وقالت: خفِ اللّهَ لا تفضحنَّ ∴ فى ابنةِ عَمّكَ عبّاسَها
فولّيْتُ عنها على عِفّةٍ ∴ وما خُنْتُ ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى.

وورى وتحيل بمداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظاً على صاعد وقال: غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان، لم يبق فى موضع لى فيه سلطان"[٢١].

وقد تعرض صاعد لامتحانات كثيرة بين يدى المنصور، كى يثبت براءته من تهمة السرقة التى وجهها له ابن العريف، واستطاع من خلال أشعاره التى قالها بديهة وارتجالاً، أن ينفى تلك التهمة، وأن يأتى بالمعانى المبتكرة، فينال الإعجاب والتقدير من المنصور.

وكان صاعد فيما ذكر عنه ابن بسام "أنه افتضح في سرقة شعر غيرواحد من أهل تلك الآفاق، من شعراء الشام والعراق، إذ كان ورد بها وهي : بغبار السفر، فاشتهر بها في غير ما شعر وخبر، منها قوله يصف إبريقاً، قد ملئ منه كأس وبقيت في فمه نقطة لم تسقط:

وقَهْوةٍ في فم الإبريق صافيةٍ ∴ كدمع مفجوعة بالإلف معبارِ
كأن إبريقنا والراح في فمه ∴ طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقارِ[٢٢]

هكذا كان الشعراء الأندلسيون يتحاشون الوقوع في السرقات خشية أن توصد أبواب الرزق أمامهم، وتذهب مكانتهم، ولا يلتفت أحد لشعرهم فالسرقات دليل تقصير وإفلاس والمنصور بن أبي عامر – فيما أشرت سابقاً – كان لا يلحق شاعراً بديوان "الندماء" إلا إذا أخضعه إلى اختبارات قاسية في حضرة غيره من الشعراء، ليقف على مدى أصالته، وقدرته على الابتكار والتجديد، فإذا تأكد أنه سارق منتحل من غيره، اشتد غضبه عليه، واستبعده من مجلسه، ولم يلحقه بديوان الندماء.

وابن دراج القسطلي واحد من هؤلاء الشعراء الأندلسيين الذين اتهموا بالسرقة، والانتحال في مجالس المنصور، "وكان إتهام الشاعر بالسرقة والانتحال أمراً شائعاً تعرض له هذا الشاعر، وهكذا لم يكن هناك بد من مجلس لنظر أمر شاعرنا

القسطلى للتحقق من صدقه، ويبدو أن ابن دراج قد استعد لذلك اليوم، فأعد قصيدته البائية"[٢٣]. التى سبق أن أشرنا إليها[٢٤].

إن قصيدة ابن دراج الهائية التى قالها بين يدى المنصور وفى أحد مجالسه مادحاً إياه، وقد سبق أن عرضنا لها [٢٥] أيضاً هى التى جرت عليه سوء الظن، ودفعت الحساد للكيد له لدى المنصور، فزعموا أنه منتحل سارق لا يستحق أن يثبت فى ديوان الندماء، فاستحضره المنصور عشى يوم الخميس لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، واقترح عليه، فبرز وسبق وزالت التهمة عنه، ووصله المنصور بمائة دينار وأجرى عليه الرزق، وأثبته فى جملة الشعراء.

إن تلك الأبيات التى قالها الشاعر فى وصف طبق التفاح الذى أحيط بأزهار البهار، وعرضنا لها فيما سبق[٢٦]، تعد "صورة مركبة لا يستطيع وصفها - على سبيل الارتجال - إلا شاعر بعد على الأقل عن فطنة السرقة . والانتحال، ثم إن هذه الأبيات يبدو عليها طابع الارتجال السريع وليس فيها تحكيك ابن دراج، وصنعته، وإحكامه مما نراه فى سائر شعره، ولو أن أبا عمر القسطلى أمهل أو ترك على سجيته فيها لأتى بغير ما أتى به"[٢٧].

أستطيع القول إجمالاً إن مجالس المنصور بن أبى عامر

أنشغلت كثيراً بقضية الأخذ أو السرقة، حيث أضحت هذه القضية من أهم المعايير النقدية فى المفاضلة بين الشعراء، وقد سجلت تلك المجالس كثيراً من سرقات الشعراء الأندلسيين، وإغاراتهم، وكان المنصور نفسه أحد الفرسان فى هذا المجال بما يمتلك من حسن نقدى وثقافة واسعة تمكنه من اكتشاف أصالة الشاعر أو إغارته.

• المعارضات:

كان الشعراء الأندلسيون ينظرون إلى النموذج الشرقى على أنه مثال يجب أن يحتذى، لذلك كثرت معارضاتهم للمشارقة، وحرصوا على الارتباط بهم، ومارس شعراء المشرق الكبار تأثيراً كبيراً على الشعراء الأندلسيين، وكان أبوالطيب المتنبى أكثر المشارقة تأثيراً ورواجاً فى الأندلس.

إن الأدب العربى فى المشرق والأندلس يعود إلى أصول واحدة وثقافة مشتركة، ويعبر عن تجارب متشابهة، ومواقف مشتركة فى كثير من الأحيان، فالأدبان فى الحقيقة أدب واحد لأمة واحدة أما قضية التأثر والتأثير بينهما فتنحصر فى جزئيات صغيرة مثل تأثر أديب بآخر، أو معارضة قصيدة لقصيدة أخرى معروفة ومشهورة، أو تقليد هذا الشاعر لتصوير أو تعبير ابتدعه شاعر آخر.

ولعل قول ابن بسام فى مقدمة كتابه "الذخيرة" يشير إلى مدى عشق الأندلسيين نتاج المشارقة، ومتابعتهم له، يقول : "إلا أن أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً"(٢٨).

لقد أنكر ابن بسام على الأندلسيين تقليدهم أهل المشرق، بيد أنه يعترف بالإعجاب الشديد بأدب المشارقة، ويحاول الدفاع عن الأندلس أنفة وغيرة وكبرياء، فيأخذ فى تتبع محاسن أهل بلده، وعصره، يقول: "وقد أودعت هذا الديوان الذى سميته "كتاب الذخيرة فى محاسن أهل هذه الجزيرة" من عجائب علمهم، وغرائب نثرهم ونظمهم، ما هو أحلى من مناجاة الأحبة، بين التمنع والرقبة، وأشهى من معاطاة العقار، على نغمات المثالث والأزيار، لأن أهل هذه الجزيرة - مذ كانوا - رؤساء خطابة ورؤوس شعر وكتابة، تدفقوا فأنسوا البحور، وأشرقوا فباروا الشموس والبدور، وذهب كلامهم بين رقة الهواء، وجزالة الصخرة الصماء"(٢٩).

إن المعارضة فى الشعر "أن يقول شاعر قصيدة فى موضوع ما، من أى بحر وقافية، فيأتى شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفنى، وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة فى

بحر الأولى، وقافيتها، وفى موضوعها، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصاً على أن يتعلق بالأول فى درجته الفنية ويفوقه، فيأتى بمعان أو صور بإزاء الأولى، تبلغها فى الجمال الفنى، أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل، وجمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة فى باب المعارضة"[٣٠].

وقد اندفع الشعراء الأندلسيون نحو فن المعارضات فى محاولة للتفوق على سابقيهم من شعراء المشرق العربى، وقد دفعهم إلى ذلك أيضاً ذلك الاتجاه القومى فى الأدب الذى حاولوا من خلاله إثبات الذات وتحقيق الأصالة وتأكيد الهوية الأندلسية.

وقد شهدت مجالس المنصور بن أبى عامر بعض الأمثلة لعدد من الشعراء الذين وقفت بهم شجاعتهم دون المعارضة، أو أنهم عارضوا وأخفقوا على نحو ما حدث حين أنشد المنصور يوماً قصيدة أبى نواس "أجارة بيتينا أبوك غيور"، فعرض على صاعد البغدادى أن يعارض القصيدة ارتجالاً، فأبى صاعد من ذلك إجلالاً لأبى نواس فعزم عليه المنصور فأنشده متمثلاً:

إنى لمستحيٍ عُلا .. كَ من ارتجالِ القول فيه
من ليس يُدْرِكُ بالرويـ .. ـة كَيّفَ يُدَرِكُ بالبديهِ

فلم ينفعه ذلك عنده، ومكث فيه بقية يومه وليلته، وجاءه من الغد فأنشده قصيدته التى أولها:

خِدَالَ البُرَى إنّى بكنّ بصيرُ ∴ طوتكنّ عنى خُلْسَةٌ وقتيرُ

ومنها:

وَباتتْ كما باتتْ مَهاةٌ خَميلةٍ ∴ لها جُؤْذرٌ عند الضّراة عقيرُ
وقَدْ أكِلتْ أشلاؤهُ فكأنها ∴ مقسّمةٌ عند القِداح جَزُورُ
كما بَغَمَتْ من شَجّوها أمّ واحدٍ ∴ أتيحَ لها مثلُ الزجاج طريرُ
لدن غدوةٍ حتى صغت شمس يومها ∴ وفى أبْهَريْها رنّةٌ وزفيرُ
تَسوفُ ثراهُ عن مَشَقّ إهابِهِ ∴ كأنّ أسابىّ الدماء عَتيرُ

وقد علق ابن بسام على معارضة صاعد البغدادى لأبى نواس فى مجلس المنصور قائلاً : "وصاعد على تتابعه فى الكذب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب، قد أخذ بطرف من الترفيق، وخلا بجانب من لقم الطريق، ألا تراه كيف صرح باليأس عن شق غبار أبى نواس؟ ولكن ابن أبى عامر حمله على الغرر، وعرضه لسوء الخبر"(٣١).

هكذا يتعثر صاعد فى معارضة قصيدة أبى نواس، وبالطبع لا تخفى تلك المكانة التى احتلتها هذه القصيدة فى نفس المنصور مما حمله على طلب معارضتها.

إن القدرة على معارضة الشعراء الكبار فى مجالس المنصور كانت إحدى الطرق للوصول إلى قلب المنصور، وإثبات الشاعرية، وكان المنصور يدعو إليها كثيراً، ويطلبها ويعجب

بالشاعر الذى يجيدها، وقد استطاع ابن دراج أن يثبت ذاته، وينال الإعجاب والثناء والقبول بين يدى المنصور من خلال معارضاته المتعددة، تارة لصاعد البغدادى وتارة لأبى نواس، فمن معارضة ابن دراج لصاعد البغدادى، قصيدته البائية التى أشرنا إليها سابقاً، والتى يقول فى مطلعها(٣٢):

حسبى رضاك من الدهر الذى عتبا ∴ وجود كفيك للخط الذى انقلبا

تلك القصيدة يعارض فيها قصيدة صاعد التى قالها فى مدح المنصور، ويقول فيها(٣٣):

يا أيها الملك المنصور من يمن ∴ والمبتنى نسباً غير الذى انتسبا

وقد استطاع ابن دراج أن يثبت شاعريته ويدرأ تهمة السرقة عن نفسه من خلال قدرته على معارضة صاعد البغدادى، وكان مجلس المنصور هو الحكم الذى يصدر حكمه بالإخفاق أو الإجادة .

ويشير الحميدى فى كتابه "جذوة المقتبس" إلى أن قصيدة ابن دراج الأولى فى مدح المنصور بن أبى عامر كانت معارضة لإحدى قصائد صاعد البغدادى، وقد كانت قصيدة ابن دراج تلك فيما ذكرنا سابقاً أول اختبار حقيقى للشاعر فى مجلس المنصور(٣٤).

وإذا كان صاعد البغدادى قد تعثر فى معارضة قصيدة أبى نواس "أجارة بيتينا أبوك غيور" معتذراً أول الأمر ثم مخفقاً بعد ذلك، فإن ابن دراج قد أجاد معارضة أبى نواس فى قصيدته الرائية التى يمدح فيها الخصيب بن عبدالحميد صاحب الخراج بمصر، ويقول فيها:

تقول التى من بيتها خَفَّ محملى ∴ عزيز علينا أن نراكَ تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب ∴ بلى إن أسباب الغنى لكثيرُ
فقلتُ لها واستعجلتها بوادر ∴ جرت فجرى من جريهن غديرُ
ذرينى أكثر حاسديك برحلة ∴ إلى بلدة فيها الخصيب أميرُ

يقول ابن درج – معارضاً هذه القصيدة – بقصيدة يمدح فيها المنصور بن أبى عامر، ألقاها بين يديه وفى أحد مجالسه:

ألم تعلمى أنَّ الثَّواءَ هو التَّوى ∴ وأنَّ بيوتَ العاجزينَ قبورُ
ولم تزجُرِى طيْرَ السُّرى بحروفها ∴ فَتُنْبِئْكِ إنْ يَمَّنَّ فَهْىَ سرورُ
تخوفنى طول السِّفار وإنهُ ∴ لتقبيل كفِّ العامرىّ سفيرُ
دَعِينى أرِدْ ماءَ المفاوِزِ آجناً ∴ إلى حيثُ ماءُ المكرُمات نميرُ
وأختلس الأيام خُلْسةَ فاتكٍ ∴ إلى حيثُ لى من غَدْرِهِنَّ خفيرُ
فإنّ خطيراتِ المهالِكِ ضُمَّنٌ ∴ لراكبها أنَّ الجزاءَ خطيرُ
ولما تدانتْ للوداع وقد هَفَا ∴ بصبرى منها أنة وزفيرُ
تناشدنى عَهْدَ المودّةِ والهوى ∴ وفى المَهْدِ منعومُ النِّداء صغيرُ[٣٥]

لقد استطاع ابن دراج - من خلال تميزه وبراعته فى فن المعارضات - فى مجالس المنصور بن أبى عامر أن يثبت أنه أحد الشعراء الفحول فى الأندلس، وقد اشتهرت معارضاته لأبى الطيب المتنبى، حتى استطاع بحق أن يشتهر عند النقاد والمؤرخين بأنه فى الأندلس كالمتنبى فى الشام.

• الألفاظ والمعانى:

تعدقضية اللفظ والمعنى من القضايا الجوهرية التى شغلت النقاد منذ أرسطو[٣٦]، وأجرتهم إلى خلافات كثيرة حول أهمية كل منهما فى مجال التعبير الفنى.

ولم ينشغل النقاد العرب قدامى ومحدثون بقضية من القضايا كما شغلوا بقضية اللفظ والمعنى، أدركوا أهميتها، ودورها فى البناء الشعرى، ودار بينهم نقاش طويل حول أى العنصرين أولى بالعناية والتقديم اللفظ أم المعنى؟ فمنهم من قدم اللفظ، ومنهم من قدم المعنى، ومنهم من ساوى فى الأهمية بين اللفظ والمعنى.

وقد عرف النقاد الأندلسيون الشعر وقيموه بالنظر إلى لفظه ومعناه، فذكروا مواطن الجمال والقبح فى اللفظ وحده، وفى المعنى وحده، وفى الاثنين معاً "وإذا كان الشعر الأندلسى يتضمن كثيراً من الأفكار والصور التى تبدو غريبة علينا لأنه

استعارها من القصيدة الجاهلية، فإن هذه الغرابة تزداد أكثر وأكثر بسبب ما يضفيه الشعراء من أهمية كبرى لجانب التقنية، والحرص على دقة اللغة، وكمالها، وكان سكان شبه جزيرة إيبيريا يتباهون كثيراً بمعارفهم اللغوية، ويدرسون كل دقائق اللغة المكتوبة بخاصة، ومن ثم كان شعراؤها، قبل أى شئ نحويين بارعين مدققين، وكانت مزايا أعمالهم تقيم عادة بمدى ما يحرصون عليه من دقة الأسلوب، وكيف عرفوا يسيطرون فنياً على ثراء اللغة ودقتها، ويستخدمون معجمها الواسع، أكثر مما ينظرون إلى مضمونها"[٣٧].

وقد اتجهت المجالس الأدبية فى الأندلس – عند المفاضلة بين الشعراء – إلى نقد ألفاظهم ومعانيهم.

وكان الشعراء الأندلسيون إزاء القدرة على الابتكار والاختراع فى المعانى والألفاظ على درجات متفاوتة : فمنهم من يعرف المعانى المخترعة والألفاظ الجيدة فيتكلف الجمع بينهما، فتراه حيناً مجيداً فى المقطعات القصيرة، بيد أن جودته تقف حين ينقصه الطبع الذى لايتوفر إلا عند صاحب الموهبة .

والفريق الثانى هو صاحب الطبع والموهبة والبديهة الذى لا يقف أمامه حجاب إلا دفعه، فترى شعره جيداً مبتكراً. أما الفريق الثالث فهو الذى يفتقر إلى الموهبة وإلى التكلف، بيد أنه

عند ما ينظم يبدو صاحب حيلة وسياسة يصاحب بها الأيام على الرغم من أن تجربته الشعرية مفتعلة تختلف أيما اختلاف عن تجربة سابقية[٣٨].

وقد اتخذت المجالس الأدبية من جودة الألفاظ والمعانى معياراً نقدياً للمفاضلة بين الشعراء ولم تقف أحكام تلك المجالس "عند حدود الألفاظ وحسب"، بل تتجاوز ذلك إلى ابتكار الشاعر فى المعانى وقدرته على التصرف فيها.

وقد اتجهت مجالس المنصور أبى عامر نحو الألفاظ والمعانى عند المفاضلة بين الشعراء، وكان المنصور يحتفى كثيراً بالشعر الذى يتسم بجزالة الألفاظ، وقوة المعنى، وحسن السبك، وبراعة التأليف، وسلاسة التعبير، وأحياناً تعجبه الألفاظ الغريبة الوحشية، وقد شهدت مجالس المنصور حوارات عديدة مع الشعراء حول القدرة على الإتيان بالألفاظ الغريبة والمعانى الفريدة، وتفسير بعض أشعار القدامى، وقد اشتهر أبو العلاء صاعد البغدادى بالقدرة على ذلك، فقد أورد عبدالواحد المراكشى فى "المغرب" أن أبا العلاء "كثيراً ما تستغرب له الألفاظ ويسأل عنها فيجب بأسرع جواب، على نحو ما يحكى عن أبى عمر الزاهد المطرز غلام ثعلب، ولولا أن أبا العلاء كان كثير المزح لحمل على التصديق فى كل ما يأتى به من ذلك، وقد

ظهر صدقه فى بعض ما قال، فمما يحكى عنه من هذا المعنى أنه دخل على المنصور يوماً وفى يد المنصور كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض البلاد اسمه "ميدمان بن يزيد"، يذكر فيه القلب والتزبيل، وهذه عندهم أسماء لمعاناة الأرض قبل الزرع، فقال له: أبا العلاء: قال: لبيك مولانا ! قال: هل رأيت فيما وقع إليك من الكتب كتاب "القوالب والزوابل" لميدمان بن يزيد؟ قال: أى والله يامولانا ؛ رأيته ببغداد فى نسخة لأبى بكر بن دريد بخط كأكرع النمل فى جوانبها علامات الوضاع هكذا هكذا ... فقال له : أما تستحى أبا العلاء ؟ هذا كتاب عاملى ببلد كذا وكذا واسمه كذا يذكر فيه كذا - للذى تقدم ذكره - وإنما صنعت لك هذه الترجمة مولدة من هذه الألفاظ التى فى هذا الكتاب ونسبته إلى عاملى لأختبرك، فجعل يحلف له أنه ما كذب وأنه أمر وافق"[٣٩].

تلك الرواية تؤكد شهرة صاعد البغدادى اللغوية وتمكنه من الإتيان بالألفاظ المستغربة وهو الشاعر المبرز فى مجلس المنصور، فقوله "أكرع النمل" من الألفاظ الغريبة التى نالت إعجاب المنصور الذى يحرص دائماً على أن يستفز الشعراء ويختبرهم كى يأتوا بالمغرب والمعجب.

وفى مجلس آخر من مجالس المنصور يسأل المنصور أبا

العلاء صاعداً البغدادى، وقد قدم طبق فيه تمر : "يا أبا العلاء، ما "التَّمْر كُلُّ" فى كلام العرب؟ قال : يقال "تمرٌ كَلّ" الرجلُ "تمرْ كُلاًّ" إذا التف فى كسائه"[٤٠]. وقال له المنصور يوماً: ما الخنبشار فى اللغة ؟ قال : حشيشةٌ يعقد بها اللبن ببادية الأعراب، وفى ذلك يقول شاعرهم:

لقد عَقَدَتْ محبتُها بقلبى ∴ كما عُقِدَ الحليبُ بخنبشار[٤١]

وثمة رواية أخرى أوردها المراكشى، عن أبى عبدالله الحميدى، قال: "حدثنى أبو محمد على بن أحمد قال: حدثنى الوزير أبوعبده حسان بن مالك بن أبى عبده، عن أبى عبدالله العاصمى النحوى قال: لما قدم صاعد بن الحسن اللغوى على المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر، جمعنا معه، فسألناه عن مسائل من النحو غامضة فقصر فيها، فلما رآه ابن أبى عامر كذلك قال: دعوه، هو من طبقتى فى النحو، أنا أناظره. قال : ثم سألنا صاعد فقال: ما معنى قول امرئ القيس :

كأنَّ دماءَ الهاديات بنحره ∴ عُصارةُ حِنَّاءٍ بشيبٍ مُرجَّلِ...؟

فقلنا : هذا واضح، وإنما وصف فرساً أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها على صدره فجاء هكذا. فقال صاعد: سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل هذا:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حال مَتْنِهِ ∴ كما زَلَّتِ الصفواءُ بالمتنزَّلِ...؟

قال: فبهتنا كأنا لم نقرأ هذا البيت قط، واضطررنا إلى سؤاله عنه، فقال: إنما عنى أحد وجهين: إما أنه تغشى صدره بالعرق، وعرق الخيل أبيض، فجاء مع الدم كالشيب؛ وإما شئ كانت العرب تصنعه، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار فى صدور الخيل فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض، فأيما عنى من أحد هذين الوجهين فالوصف مستقيم"[٤٢].

يتضح مما سبق تمكن صاعد من التراث الشعرى وحفظه شعر امرئ القيس وتتبدى ثقافته اللغوية، وقدرته على فهم الشعر، واستنباط المعانى، من خلال الربط بين البيتين فى المعنى،.

ويكشف صاعد بذلك عن رؤية نقدية مهمة وهى أنه لا يمكن الوقوف على "معنى البيت الواحد بمعزل عن سياقه فى القصيدة وارتباطه بما قبله وما بعده، فالشعراء قد ينثرون معانيهم ويضمنونها أكثر من بيت.

وقد ينصرف النقد فى مجالس المنصور أحياناً نحو تحديد معنى لفظة فى بيت شعرى، وقد يحدث خلاف بين المتحاورين حول معناها. من ذلك ما رواه الحميدى، ونقله عبدالواحد المراكشى قال: "وحدثنا أبومحمد على بن أحمد قال: حدثنى أبوالخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الفقيه، أن أبا العلاء

صاعداً سأل جماعة من أهل الأدب فى مجلس المنصور أبى عامر عن قول الشماخ بن ضرار:

دار الفتاة التى كُنّا نقول لها ∴ ياظبيةً عُطلاً حسّانَةَ الجيدِ

تُدْنى الحمامةُ وهى لاهيةٌ ∴ من يانع المردِ قِنوانَ العناقيد

فقالوا: هى الحمامة، تنزل على غصن الأراكة أو الكرمة فتنفضه فتتمكن الظبية منه فترعاه. فأنكر ذلك عليهم صاعد وقال: إن الحمامة فى هذا البيت هى المرآة، وهى اسم من أسمائها، فأراد أن هذه الجارية المشبهة بالظبية إذا نظرت فى المرآة أدنت المرآة منها فى المنظر شعرها الذى هو كقنوان العناقيد من يانع الكرم أو المرد، فرأته"(٤٣).

أرأيت كيف كشف مجلس المنصورعن تمكن صاعد من تذوق الشعر ومعرفة ألفاظه ومعانيه؟ إنه بلاشك يمتلك تلك الأدوات التى تلزم الناقد الأدبى فى تعامله مع النص الشعرى تمكن من التراث وحفظ لأشعار القدامى من الشعراء ومعرفة بالألفاظ والمعانى وحصيلة لغوية وثقافة واسعة، وقدرة على تذوق الشعر وفهم مراميه، فهو أحد الشعراء النقاد فى الأندلس.

أخيراً فإن نقد الشعر من ناحية المعنى شاع كثيراً فى مجالس المنصور، فعندما يُعجب المنصور بشئ رآه فإنه يدعو شعراءه إلى وصفه كى يتعرف على قدرتهم، ويحكم على

شاعريتهم، ويفاضل بينهم، وقد تنافس الشعراء كثيراً فى فن الوصف بين يدى المنصور، من ذلك تنافسهم فى وصف "السوسن" وابتكارهم المعانى عندما طلب منهم المنصور ذلك، وقد أظهر ابن دراج القسطلى تفوقاً فى هذا، واستحوذ على إعجاب المنصور، وقد عرضت ذلك تفصيلاً عند حديثى عن الشعر فى مجالس المنصور[٤٤].

هكذا اتجه النقد فى مجالس المنصور بن أبى عامر نحو عدد من القضايا النقدية المهمة هى : المفاضلة بين الشعر المنظوم والمحفوظ، والصدق والكذب، والبديهة والارتحال، والسرقات الشعرية، وفن المعارضات، والألفاظ والمعانى.

وقد ابتعدت مجالس المنصور عن النقد النظرى، واتجهت نحو النقد التطبيقى الذى يجابه النص الشعرى، ويعتمد على الذوق، ولا يستند أحياناً إلى رؤية موضوعية، أو منهج واضح .

ورغم أن معظم الأحكام النقدية كانت انطباعية عامة إلا أنها أسهمت - بشكل واضح - فى ازدهار الشعر ورواجه وساعدت فى تشكيل الحس النقدى لدى الشعراء الأندلسيين الذين ضمتهم مجالس المنصور، وقد كشفت تلك الحوارات والنقاشات التى شهدتها تلك المجالس عن تمكن الثقافة المشرقية من نفوس هؤلاء الشعراء، فكثيراً ما تمثلوا بأشعار المشارقة،

ودارت نقاشاتهم النقدية حول تلك الأشعار فهماً وتذوقاً، وإعجاباً ومعارضةً، وأحياناً سرقة، وانتحالاً.

كانت الأحكام النقدية الصادرة عن مجالس المنصور – إجمالاً – سريعة وعامة ومرسلة تقتصر أحياناً على عبارات الاستحسان دونما تفصيل أو تعليل، ولم ترتق إلى النظرية النقدية الواضحة.

هوامش الفصل الرابع

(١) د. سعد إسماعيل شلبى، البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر، ص ٤٣١، دار نهضة مصر، الفجالة القاهرة، د.ت.

(٢) نفسه، ص ٤٣٢.

(٣) هدى شوكة بهنام، النقد الأدبى فى كتاب نفح الطيب للمقرى، ص ١٧٣، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، بغداد، العراق.

(٤) نفسه، ص ١٨١.

(٥) نفسه، ص ١٧٧.

(٦) المقرى التلمسانى، نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ٢٤٣/٤-٢٤٤.

(٧) منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ص ٣٣٧، تونس، ١٩٦٦م.

(٨) المقرى التلمسانى، نفح الطيب، ٢١١/٤.

(٩) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق د. حسن يوسف خريوس، ٢٨٨/٢، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٠٩-١٩٨٩).

(١٠) الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ١٠٠، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم وعلى البجاوى، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة، د.ت.

(١١) المقرى التلمسانى، نفح الطيب، المجلد الأول، ص ٤١٨-٤١٩، دار صادر، بيروت.

(١٢) نفسه، ٣ /٣٦٤، ٣٦٥.

(١٣) هدى شوكة بهنام، النقد الأدبى فى كتاب نفح الطيب، ص ١٩٥.

(١٤) سبق أن أوردنا الأبيات عند الحديث عن "الشعر في مجالس المنصور" انظر البحث، ص

(١٥) عبدالواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ص ٧٧ - ٧٨، القاهرة (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

(١٦) ابن بسام، الجزيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ص ٤، م١، ص ٣٥، ٣٦.

(١٧) نفسه، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٣٦.

(١٨) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(١٩) انظر : د. مصطفى عليان عبدالرحيم، تيارات النقد الأدبى فى الأندلس، ص ٨٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

(٢٠) د. بدوى طبانة، السرقات الشعرية، ص ١٧٤، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

(٢١) الذخيرة، ق ٤، م١، ص ١٧، ١٨.

(٢٢) نفسه، القسم الرابع المجلد الأول، ص ٢٥.

(٢٣) ديوان ابن دراج القسطلى، تحقيق د. محمود على مكى، المقدمة، ص ٤٤.

(٢٤) انظر: الديوان ص ٣٠٨، وانظر البحث، ص ٥٨.

(٢٥) انظر البحث، ص ٥٦.

(٢٦) انظر البحث، ص ٥٧.

(٢٧) ديوان ابن دراج القسطلي، المقدمة، ص ٤٥.

(٢٨) ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، المقدمة، ص١٢.

(٢٩) نفسه، القسم الأول، المجلد الأول، المقدمة، ص ١٤.

(٣٠) أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي القديم، ص ٧، مطبعة السعادة، بمصر، سنة ١٩٥٤م،

(٣١) الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٢٢، ٢٣.

(٣٢) انظر البحث، ص ٥٨.

(٣٣) انظر: نفح الطيب، ١١٥/٢.

(٣٤) انظر: جذوة المقتبس، ص ٣٠٩.

(٣٥) انظر : الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ٨٢، وانظر قصيدة أبي نواس في : ديوان أبي نواس، ص ٤٨١، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، وانظر قصيدة ابن دراج في ديوانه، ص ٢٥٠.

(٣٦) حول هذه القضية انظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ص ٥٣، ومابعدها، دار الثقافة، بيروت لبنان، د.ت.

(٣٧) فون شاك، الشعر العربى فى إسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى، الجزء الأول، ص ٩٥، دار المعارف.

(٣٨) انظر : هدى شوكة بهنام، النقد الأدبى فى كتاب نفح الطيب للمقرى، ص ١٨٣.

(٣٩) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ص ٧٩، ٨٠.

(٤٠) نفسه، ص ٨٠.

(٤١) الذخيرة، ق ٤. م١، ص ٣٢.

(٤٢) عبدالواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٨١.



الخاتمـــــة

لقد اشتهر المنصور بن أبى عامر بالسياسة، فهو قائد من الطراز الأول، انشغل الدارسون بشهرته السياسية وأهملوا جوانب أخرى مهمة فى شخصيته، ويجئ هذا البحث ليكشف عن أحد هذه الجوانب المهمة . وهو صلة المنصور بالأدب.

وتبين من خلال البحث اهتمام المنصور الشديد بالثقافة والأدب، وحرصه على توثيق صلاته بالعلماء والأدباء، وإغداقه عليهم من حبه وعطفه وكرمه، حيث أنشأ لهم ديواناً يعرف «بديوان الندماء».

لقد كشف البحث عن تعدد مواهب المنصور الأدبية وتنوعها بين الشعر والنثر والنقد، ورغم قلة النصوص الأدبية التى وصلتنا منسوبة إليه إلا أنها تكشف عن موهبة كان من الممكن لصاحبها أن يكون شيئاً مذكوراً فى عالم الأدب.

وقد تبين من خلال البحث أيضاً تنوع الشعر الذى قيل فى مجالس المنصور بين المدح والوصف والفكاهة والتسلية والمرح وقد غلب على هذا الشعر الارتجال وقيل على البديهة، واتسم بقلة القصائد الطوال، وكثرة المقطعات، ويعبر هذا الشعر فى جانب كبير منه عن وجهة نظر صاحبه، وينطلق من الوجدان، ويعبر عن الهموم الخاصة، فهو شعر ذاتى مشحون بالشكوى.

ونظراً لكون مجالس المنصور ميداناً للتنافس بين الشعراء لإظهار الموهبة، والمهارة الشعرية، فقد حرص الشعراء على تجويد أشعارهم، فجاءت سهلة واضحة فى ألفاظها وعباراتها، طريفة فى معانيها، جديدة ومبتكرة فى صورها، قصيرة وخفيفة فى أوزانها، أما ألفاظ الطبيعة والخمر فقد ألحت على الشعراء كثيراً وكيف لا وتلك المجالس تعقد غالباً فى رحاب الطبيعة وتغشاها الخمر ويكثر فيها الشراب.

وقد تجلى من خلال البحث اتجاه النقد فى مجالس المنصور نحو عددٍ من القضايا النقدية المهمة هى: المفاضلة بين الشعر المنظوم والمحفوظ، والصدق والكذب، والبديهة والارتجال، والسرقات الشعرية، والمعارضات، والألفاظ والمعانى، وقد ابتعدت تلك المجالس عن النقد النظرى، واتجهت نحو النقد التطبيقى الذى يجابه النص الشعرى، ويعتمد على الذوق، وقد لا يستند إلى رؤية موضوعية أو منهج واضح.

أما الأحكام النقدية التى صدرت عن تلك المجالس فكانت انطباعية عامة بيد أنها أسهمت فى ازدهار الشعر ورواجه، وساعدت فى تشكيل الحس النقدى لدى الشعراء الأندلسيين.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الأبار

- الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

- ابن بسام

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

- الثعالبي

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٩٧٣م-١٣٩٢هـ).

- الجزيري

- شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، جمع وتحقيق د. أحمد عبدالقادر صلاحية، دار المكتبي، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

- حازم القرطاجني

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس ١٩٦٦م.

- ابن دحية
- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن دراج القسطلى
- الديوان، تحقيق د. محمود على مكى، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامى، دمشق، د.ت.
- ابن رشيق القيروانى
- العمدة، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
- ابن سعيد الأندلسى.
- المغرب فى حُلى المغرب، تحقيق د. شوقى ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، د.ت.
- عبدالواحد المراكشى
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).
- عنترة بن شداد
- الديوان، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.

- الفتح بن خاقان
- قلائد العقيان، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- مطمح الأنفس، ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد على شوابكة،د ار عمار، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

- القاضى الجرجانى
- الوساطة بين المتنبى وخصومه، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، وعلى البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة، د.ت.
- المقرى التلمسانى
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- ابن منظور
- لسان العرب، دار المعارف، د.ت.

- أبو نواس

- ديوان أبى نواس، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، د.ت.

- ابن هذيل

- شعر يحيى بن هذيل القرطبى الأندلسى، تحقيق محمد على شوابكة، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- أبو الوليد الحميرى

- البديع فى وصف الربيع، تحقيق د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان، دار المدنى، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

ثانياً : المراجع :

- إبراهيم مصطفى وآخرون

- المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

- أحمد الشايب

- تاريخ النقائض فى الشعر العربى القديم، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٩٥٤م.

- د. أحمد ضيف
- بلاغة العرب فى الأندلس، الطبعة الثانية (١٣٥٦هـ-١٩٣٨م)، مطبعة الاعتماد، القاهرة .
- د. أحمد هيكل
- الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- د. أشرف على دعدور
- الصورة الفنية فى شعر ابن دراج القسطلى، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د.ت.
- د. أشرف محمود نجا
- قصيدة المديح فى الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية، عصر الطوائف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- د. بدوى طبانة
- السرقات الشعرية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
- د. بدير متولى حميد
- قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

– حسن مراد
– تاريخ العرب فى الأندلس، دار الفرجانى، القاهرة، طرابلس، لندن، ١٩٨٤م.
– د. حسين يوسف خريوش
– الحاجب المصحفى، حياته وآثاره الأدبية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة عشرة (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
– د. خالد الصوفى
– عصر المنصور الأندلسى، دار الكاتب العربى، دمشق، د.ت.
– د. سعد إسماعيل شلبى
– البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
– د. سهام الفريح
– الوصايا فى الأدب العربى القديم، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
– على بن محمد
– النثر الأدبى الأندلسى فى القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

- فاطمة قنديل
- التناص فى شعر السبعينات ، سلسلة كتابات نقدية (العدد ٨٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، مارس ١٩٩٩م.
- محمد عبدالله عنان
- تراجم إسلامية، شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت.
- الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، مطبعة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٧٨هـ-١٩٥٨م).
- د. محمد محمد السعيد
- الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
- د. مصطفى عليان عبدالرحيم
- تيارات النقد الأدبى فى الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

- هدى شوكة بهنام
- النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقرى، الطبعة الأولى ١٩٧٧م، بغداد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

ثالثاً : الكتب المترجمة :

- أرسطو طاليس
- فن الشعر، ترجمة عبدالرحمن بدوى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت.
- أنخل جنثالث بالنثيا
- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.
- فون شاك
- الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- كراتشكوفسكى
- الشعر العربي في الأندلس، ترجمة د. محمد منير مرسي، تقديم د. أحمد هيكل، عالم الكتب، القاهرة.

فهرس الموضوعات

المقدمــــــة ٣
التمهيد : المجالس الأدبية مفهومها، ونشأتها فى الأندلس ٩
أولاً : مفهوم المجالس الأدبية، لغة واصطلاحاً ١١
ثانياً : نشأة المجالس الأدبية فى الأندلس ١٥
هوامش التمهيد ٢٠
الفصل الأول : المنصور بن أبى عامر وسيرته ٢٣
أولاً : مولده ونشأته ٢٥
ثانياً : علاقته بالملكة صبح ٢٧
ثالثاً : حياته العملية، وتقلبه فى المناصب ٣٠
رابعاً : قضاؤه على منافسية وانفراده بالحكم ٣٣
خامساً : حالة الأندلس فى عصره ٣٥
سادساً : صفاته ومآثره ٣٧
سابعاً : وفاته ٣٩
هوامش الفصل الأول ٤٠
الفصل الثانى: صلة المنصور بن أبى عامر بالأدب ٤٣
أولاً : اهتمام المنصور بالثقافة والأدب ٤٥
ثانياً : إنشاء ديوان الندماء ٥٣
ثالثاً : مواهب المنصور بن أبى عامر الأدبية ٦٠
هوامش الفصل الثانى ٧٣

الفصل الثالث : الشعر فى مجالس المنصور بن أبى عامر ٧٧
أولاً : المدح ٨١
ثانياً : الوصف ٩٢
ثالثاً : الفكاهة والتسلية والمرح ١٠٤
السمات الخاصة ١١٠
مراجع الفصل الثالث ١١٤
الفصل الرابع : النقد الأدبى فى مجالس المنصور بن أبى عامر .١١٩
أولاً : النقد فى المجالس الأدبية فى الأندلس.................. ١٢١
ثانياً: قضايا النقد الأدبى فى مجالس المنصور ١٣١
الشعر المنظوم والمحفوظ ١٣٢
الصدق والكذب ١٣٣
البديهة والارتجال.. ١٣٦
السرقات الشعرية ١٤٠
المعارضـــــــات ١٤٥
الألفاظ والمعانى.. ١٥١
هوامش الفصل الرابع ١٦٠
الخاتمـــــــة ١٦٥
المصادر والمراجع ١٦٧
فهرس الموضوعات ١٧٥